معهد الدراسات الافريقية والآسيوية
جامعة الخرطوم

الحركة الوطنية فى السودان

ثورة ١٩٢٤

تحرير
د . محاسن عبدالقادر حاج الصافى



سلسلة الدراسات السودانية « الحركة الوطنية » « رقم ١٨ »

معهـد الدراسات الافريقية والاسيوية

جامعـــة الخرطـــوم

الحركـه الوطنيـه فـى السودان

ثـــورة ١٩٢٤

تحريـــــر

د٠ محاسن عبد القادر حاج الصافـى

سلسلة الدراسات السودانيه (١٨)

(الحركـه الوطنيـه)

١٩٩٢ م



الطابعون : مطبعة جامعة الخرطوم

المحتويـــــات

تمهيد

ان شعبة ابحاث السودان بكلية الاداب جامعة الخرطوم ، ومنذ نشأتها فى الستينات ، قد أولت أحداث الحركه الوطنيه السودانيه .اهتماما كبيرا ، فأخذت ، منذ ذلك الوقت ، على عاتقها تدوين وتوثيق تلك الاحداث • ولقد اتصل العمل فى هذا الشأن حتى تبلور فى مشروع متكامل يعنى بدراسة وتمحيص الجوانب المختلفه لمسار الحركه الوطنيه ، كان ذلك بالتحديد فى عام ١٩٧٢ حيث توسعت شعبة ابحاث السودان ، وتطورت لتصبح معهدا للدراسات الافريقيه والاسيويه •

حينئذ تكونت لجنه ضمت علماء ، من داخل جامعة الخرطوم ، ومن خارجها ، ممن يعنون بالبحث العلمى فى مجال الدراسات السودانيه • فوضعت تلك اللجنه برنامجا متكاملا لدراسة التطور التاريخى والسياسى والاقتصادى للحركه الوطنية السودانية •

لقد كانت الجهود فى بادىء الامر ، تتجه نحو توثيق احداث ثورة ١٩٢٤ ، وذلك بجمع الروايات الشفاهيه من المعاصرين لتلك الثوره •

وقد بذل ايضا جهد متواضع فى سبيل جمع المذكرات، والتقارير الخاصه بتلك الثوره، من داخل السودان، ومن خارجه . وقد تمت طباعة ماجمع من هذه المذكرات والتقارير فى مجلدات اشتملت على "فهرست" لمصادر ومراجع تاريخ ثورة ١٩٢٤ . وطبع أيضا مجلدان يحتويان على الروايات الشفهيه للاحياء من ثوار ١٩٢٤، كما افرد مجلدان آخران، أحدهما لوقائع محاكمات أعضاء جمعية اللواء الابيض، والاخر لوقائع محاكمات طلبة المدرسه الحربيه الذين تظاهروا خلال ثورة ١٩٢٤ .

وخلال السبعينات حاولت اللجنه المشرفه على هذا المشروع عقد مؤتمر علمي حول احداث ١٩٢٤، الا انها صرفت النظر عنه فى ذلك الوقت، خشية الا تتاح فرص التعبير العلمى المحايد لتقويم احداث الثوره وذلك نسبة للمناخ السياسى السائد آنذاك . ولهذا الاعتبار أجل المؤتمر لينعقد فى يناير ١٩٨٦، أى بعد انتفاضة رجب - ابريل . وحتى ذلك الوقت أمكن جمع معلومات وافيه عن مسار الحركه الوطنيه السودانيه فى المرحله التى اعقبت ثورة ١٩٢٤ والى ان نال السودان استقلاله .

فى الثامن من يناير ١٩٨٦ افتتح المؤتمر الدكتور الجزولى دفع الله رئيس وزراء الحكومة الانتقالية فى ذلك الوقت .. تحدث فى الجلسه الافتتاحيه البروفسير يوسف فضل حسن مدير الجامعه آنذاك، كما تحدث البروفسير سيد حامد حريز المدير السابق لمعهد الدراسات الافريقيه والآسيويه .

ولقد شارك فى المؤتمر عدد من العلماء والباحثين والمهتمين بالدراسات السودانيه، من السودان، ومصر، والمملكه المتحده، والولايات المتحده الامريكيه، واليابان، حيث قدموا مالايقل عن خمسين بحثا ، واستمرت جلسات المؤتمر لمدة اسبوع .

ان هذا الكتاب، الذى بين ايدينا الان، يضم مجموعة البحوث المختاره حول ثورة ١٩٢٤ ، والتى قدمت فى ذلك المؤتمر باللغه العربيه .

ويجدر بنا ان نذكر انه قد تم نشر عدد من المقالات باللغه الانجليزيه حول ثورة ١٩٢٤ وذلك ضمن الكتاب الذى حوى بحوث المؤتمر المكتوبه باللغه الانجليزيه بعنوان :

The Nationalist Movement in the Sudan

ذلك الكتاب الذى صدر مؤخرا عن المعهد والذى نأمل ان يكون اضافة طيبة لمكتبة الدراسات السودانيه ٠

ولابد لنا ان نسجل هنا كلمة شكر لا ولئك الذين أسهموا بفكرهم ، ووقتهم من أجل قيام " مشروع دراسة الحركه الوطنيه السودانيه وهم البروفسير يوسف فضل حسن مدير شعبة أبحاث السودان والمدير الاسبق لمعهد الدراسات الافريقيه بجامعة الخرطوم وأعضاء اللجنه الاستشاريه للمشروع فى مراحله المختلفه٠

والشكر موصول للذين اسهموا فى تمويل موتمر الحركه الوطنيه السودانيه ونخص بالذكر جامعة الخرطوم والمجلس القومى للبحوث ، ودار الوثائق المركزيه ٠

والله من وراء القصد ٠

د ٠ محاسن عبد القادر حاج الصافى

المشرفه على مشروع
دراسة الحركه الوطنيه السودانيه
مدير معهد الدراسات
الافريقيه والاسيويه

تقديـــــــم

ان مجموعة البحوث التى يحتويها هذا الكتاب تتناول بالدراسه والتقصى عدة جوانب فكريه وتاريخيه حول ثـــورة ١٩٢٤ السودانيه وهذه البحوث، بلاشك، تعد اضافة قيمـــة للدراسات السابقة حول ثورة ١٩٢٤ ٠ فقد توفرت من قبـــل مجموعة نادرة من المادة الوثائقيه، وذلك فى دور الوثائـــق بلندن، والقاهرة، والخرطوم، فضلا عن انه قد اصبح فـــى متناول اليد حصيلة جيدة من المقابلات التى جرت مـــع رواد الحركه الوطنيه السودانيه، وهى محفوظه فى قســـم التوثيق بمعهد الدراسات الافريقيه والاسيويه بجامعة الخرطـــوم ٠ ولقد القت هذه المقابلات الضوء على كثيـــر من الجوانـــب الهامه فى مسار الحركة الوطنية السودانية ٠

ولما استقر الرأى على عقد مؤتمر حـــول الحركـــــه الوطنيـــه السودانيه بمعهد الدراسات الافريقيـــه والاسيويـــه بجامعة الخرطوم عام ١٩٨٦، كان من الطبيعى ان يفـــرد جـــزء اساسى من وقت المؤتمر وجهده لتناول بعض القضايا المتعلقه بثـــورة ١٩٢٤، تلك القضايا التى برزت الى السطح بعـــد ان توفـــرت المادة التى اسلفنا ذكرها، وبعد ان مضى على الثـــوره من الزمن مايسمح، ويمكّن من تقويمها تقويما سليما ٠

وكان ضمن القضايا الملحة التى فرضت نفسها آنذاك " ماهية ثورة ١٩٢٤ " ، أى اعادة تقويم ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ ٠

ولقد تصدى لدراسة هذا الموضوع الدكتور عبد الوهاب احمد بمقالة جاءت فى صدر هذا الكتاب بعنوان : " نحو تعريف جديد لثورة ١٩٢٤ " ٠٠ وهذه المقاله هى محاولة من المؤلف لايجاد تعريف دقيق لثورة ١٩٢٤ ، وذلك عن طريق تناول المصطلحات السياسيه الشائعه وتطبيقها على ماحدث فى السودان ، بغرض الوصول الى المصطلح العلمى الصحيح الذى ينبغى ان يطلق على تلك الاحداث ٠

فبعد ان تطرق المؤلف لبعض المصطلحات ، استعرض بشىء من التفصيل ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ ، من قيام للجمعيات السريه ، والعلنيه ، ثم الاحداث المدنيه والعسكريه ، وحاول من خلال ذلك ، الاجابه على السؤال المطروح حول " ماهية ثورة ١٩٢٤ " بالمقارنه مع تلك المصطلحات التى ساقها ، ثم خلص الكاتب الى ان ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ كان ، فى بعض جوانبه ، " تمردا " ، الا أنه لم يكن قاصرا على ذلك ، بل شمل نشاطات وأحداثا سياسية اخرى عديدة ٠

ولذلك يمكن ان نطبق على ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ مصطلح " احداث " او " حوادث " كما فعل المؤرخ محمد عبد الرحيم ٠ ولكن هذا المصطلح يظل قاصرا ، كما هو الحال بالنسبه

لمصطلح " التمرد " ، عن التعريف العلمى الدقيق لما حدث آنذاك ، لا ن ماجرى فى عام ١٩٢٤ فى السودان كان اشمل ، وله مدلولات ، وابعاد ، اكبر من أن يكون مجرد "حوادث" ٠

ويخلص المؤلف الى انه يمكن ان نعرف ماحدث فى السودان ، عام ١٩٢٤ ، بأنه حركة وطنيه عملت لتحرير السودان من الاستعمار البريطانى فى السودان ومصر ، وتحقيق وحدة وادى النيل ٠

ان المقال اذن ، يعتبر محاولة جادة ، فى سبيل التعريف بأحداث ١٩٢٤ ، ثم هو مدعاة للمزيد من التداول والحوار حول هذا الموضوع الحيوى الهام ٠

وورد فى هذا الكتاب ايضا مقال للدكتور عبد الرحمن عبد الروءوف الخانجى تطرق فيه لموضوع الجذور الفكريه لثورة ١٩٢٤ ، وهو موضوع كان ، ولايزال ، يشغل بال المهتمين بالدراسه العلميه لتاريخ الحركه الوطنيه السودانيه ٠

يبدأ المقال بعقد مقارنه بين جذور الحركات الوطنيه قبل ثورة ١٩٢٤ ، وبعدها ، ويقرر ان الحركات السابقه لثورة ١٩٢٤ كانت ذات جذور ريفيه وبدويه ، بينما ركزت ثورة ١٩٢٤ على المدن ، وعلى ذلك فقد تولى الزراع والرعاة امر الحركات الوطنيه

الاولى ، بينما امسك بزمام قيادة ثورة ١٩٢٤ الموظفون والعمال والجنود ، وذلك بفضل المتغيرات التي حدثت في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأدت الى نمو الروح القومي في المدن •

ويعدد الكاتب العوامل ، والموثرات الاخرى ، المتصله بجذور ثورة ١٩٢٤ ، ويوكد اصالة حركة "اللواء الابيض" وموقفها من الحركه الوطنيه المصرية • اذ أنها عملت لبعث الارادة الشعبية وتوظيفها للقضاء على الاستعمار ، متعاونه من أجل هذه الغايه ، مع الحركه الوطنيه المصريه ، وهى بذلك لم تكن واجهة للقاهرة ، ولا تابعه لها •

وفي المقاله الثالثه من هذا الكتاب يتناول الدكتور شوقى عطا الله الجمل بالدراسه آثار ثورة ١٩١٩ المصريه على ثورة ١٩٢٤ السودانيه ، الامر الذى لاغنى ، ولامعدى للدارس فى تاريخ ثورة ١٩٢٤ ، عن تناوله •

يبدأ الكاتب بتقديم خلفيه تاريخيه لقيام الحكم الثنائى فى السودان بعد اتفاقية يناير ١٨٩٩ ثم يتعرض لحركات المقاومه الاولى فى السودان ثم يشير الى أثر الحرب العالميه الاولى على الحركه الوطنيه فى مصر والسودان •

بعد ذلك يتجه لدراسة العوامل التى ربطت بين ثورة

١٩١٩ فى مصر ، وبين أحداث ١٩٢٤ فى السودان ٠ ويؤكد بان اخبار الحركه الوطنيه المصريه والتطورات التى كانت تجرى هناك قد الهبت شعور السودانيين ، ودفعتهم للمطالبه بحق تقرير المصير وتوفير الحياة الحره الكريمه لهم ٠ والكاتب بذلك انما ينحو منحى الكتاب والموءرخين السودانيين فى تقويمهم للصله بين الحركه الوطنيه المصريه والحركه الوطنيه السودانيه " ١٩٢٤ " وقولهم بأن هذه الصله لاتعنى أن الثوره قد انتقلت من مصر الى السودان بكل تفاصيلها وأشكالها ، ذلك بان الظروف السياسيه والاجتماعيه التى كانت سائده فى البلدين متشابهة ومتقاربه ٠ وعلى ذلك يمكن القول بان ثورة ١٩٢٤ هى بلاشك ثورة سودانيه اصيله ، لها جذورها ، وامتداداتها ، فى الانتفاضات السودانيه العديده التى سبقتها وان تأثرت ثورة ١٩٢٤ بالاحداث التى جرت فى مصر عام ١٩١٩ وما اسفرت عنه من نتائج ٠

وفى المقاله الرابعه من هذا الكتاب يتقصى الدكتور حسن عابدين ويحلل مواقف كل من بريطانيا ومصر ازاء ثورة ١٩٢٤ ، مؤكدا ان وتيرة السياسه البريطانيه ، ووثائقها الاوليه تشير الى غير المتعارف عليه من تفسير ماطرأ من تغيير على السياسه البريطانيه فى ادارة السودان عقب ثورة ١٩٢٤ ،

ويقرر ، من ثم ، بأن احداث عام ١٩٢٤ لم تكن سوى اللحظه المواتيه والمناسبه لاتخاذ الاجراءات العمليه لتنفيذ السياسه البريطانيه المبيته لفصل السودان عن مصر ، اداريا وسياسيا ٠

اكثر من ذلك فان المؤلف يشرح ويقيم احداث ١٩٢٤ ، ويبين أثر تجربة الحركه الوطنيه المصريه على السودان ، خصوصا ، تجربة حزب الوفد ، خلال ثورة ١٩١٩ وماتلاها ٠من أحداث ، ويشير الى الوسائل التى يسرت انسياب الموثرات الفكريه والتنظيميه ، من مصر الى الحركه الوطنيه فى السودان ٠

ويشير ايضا ، فى صدر البحث الى أهم عاملين ميزا الحركه الوطنيه السودانيه عن مثيلاتها فى معظم البلاد العربيه والافريقيه ، هذان العاملان هما النشأة المبكرة والوشائج الفكريه والسياسيه التى تربطها بالحركه الوطنيه المصريه ٠

ان مجموعة المقالات الواردة فى هذا الكتاب ، هى ، كما سبق القول ، اضافة قيمه لحصيلة الدراسات السابقه حول " الحركه الوطنيه السودانيه ، وتقصى جذورها وأبعادها" ٠ ومما لاشك فيه ان الاراء التى وردت فى هذه الدراسات جميعا ، جديرة بالتناول العلمى من قبل المهتمين بمستقبل الدراسات السودانيه عامة ، والحركه الوطنيه خاصه ٠

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل ٠

د ٠ محاسن عبد القادر حاج الصافى

نحـو تعريف جديد لثـورة ١٩٢٤م

د٠ عبد الوهاب احمد عبد الرحمن

يهدف هذا البحث الى ايجاد تعريف جديد لثورة ١٩٢٤ عـن طريق تناول المصطلحات السياسيه الشائعه التى اطلقت أو يمكن أن تطلق عليها ، وتعريفها تعريفا علميا دقيقا ، ثم استعراض ماحدث فـى السودان آنذاك وارضاخه لدراسة علمية مجرده ، خاليه من الاغراض والاهواء والبحث عن الامجاد والمزايدات ، مطبقـا عليـه المعايير والمفاهيم التى استخلصتها من تعريف تلك المصطلحات بقصد الوصول الى المصطلح العلمى الدقيق الذى يمكن ان نطلقه على ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م٠

والمصطلحات التى سأتناولها بالتعريف هـى :-

ثـوره ، انقـلاب ، انتفاضه ، تمـرد ، أحـداث وحركـه

ثـوره : (Revolution)

يستخدم مصطلح الثوره للدلاله على حدوث تغييـرات جوهريه فجائيه وجذريه شاملـه (١) ، الى الافضـل فـى بلد ما عن طريـق العنف أو استخدام القـوة الشرعيـة ٠

وكثيرا ماتكون الثوره نتاجـا طبيعيا وحتميا لصراعات وتناقضات سياسيه واجتماعيه واقتصاديه وفكريه (عقديه) عميقه فى مجتمـع معيـن

ويتمخض عنها تغيير في نظام الحكم وتحول جذرى وعميق في كافة اوجه حياة المجتمع المعنى ٠

والثورة لاتقوم بمشيئة فرد معين او بناء على رغبته وارادته ، وانما تستلزم لقيامها ظروفا موضوعيه مثل ظهور أزمه عامه تمتد على نطاق القطر أو الامه تزداد فيها معاناة الشعب الى اقصى حد ممكن ، ويزداد فيها تبعا لذلك سخطه على الاوضاع السائده ورفضه القاطع لها وازدياد نشاطه ومعارضته وتصميمه على احداث التغيير المطلوب [٢] واستعداده للتضحيه من أجل ذلك ٠

والثوره الحقيقيه هى التى تنبعث من الشعب وتعبر عن ميوله ورغباته وتوجهاته وفكره ، وان نظمها وقادها أشخاص معينون ٠ [٣]

وهناك ثورات متعدده فى تاريخ الانسانيه تعتبر بمثابة النماذج الاساسيه لأنواع الثورات فى العالم ، ومن أشهرها الثورة الامريكيه (١٧٧٦)، والثوره الفرنسيه (١٧٨٩م) والثوره الروسيه (١٩١٧م) ، [٤] والثوره الصينيه (١٩٤٩م) ٠

كما ان هنالك ثورات صناعيه وزراعيه واقتصاديه ، وأخرى سياسيه وا جتماعيه وثقافيه ٠ [٥] والثوره التى تسعى لتحقيق كل ذلك فى آن واحد تسمى ثوره شامله ٠ [٦]

وارتكز الفكر الثورى فى القرن التاسع عشر على نظرية " المساواة الطبيعية " بين البشر وعلى نظرية " السيادة الشعبية " وهى نظرية تقوم على انكار سلطة الملكيات المطلقه وانكار شرعية امتيازات طبقة النبلاء .[(٧)]

وهناك تفسيرات نظريه متعدده للثوره . فبينما ينظر اليها رواد التفكير النقدى المتفائل، الذى ساد فى القرن التاسع عشر بين أحزاب ومفكرى اليسار وطوره الماركسيون والمفكرون اليساريون المعاصرون، باعتبارها وسيله ضروريه وحتميه لتحقيق تقدم البشريه نحو مجتمع عصرى تسوده الحريه والعدل والمساواه، ينظر اليها البعض الآخر من رواد التفسير المحافظ التشاؤمى الذى ظهر خلال الثوره الفرنسيه وتبلور فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وعبر عنه " مفكرون سياسيون ذوو منحى ذهنى اقطاعى، تقليدى، لاهوتى او ملكى "، وتمثل فى مفكرين سياسيين ذووى نظره سيكولوجيه خاصه من أمثال نيتشه (Nietzsche) ولوبون (Le Bon)، باعتبارها إنفجارا " شبه بربرى" لمشاعر شعبيه خارجه عن السيطره، وانفعالا جماهيريا مدمرا يعبر عن سيكولوجية الغوغاء التى تشبه فى تكوينها العقليه البدائيه[(٨)] ويرون ان كل ماتنطوى عليه الثوره فوضى، ولاشك ان نظرة هؤلاء المفكرين تجاه عامة الشعب كانت نظره " فوقيه " عمادها التعالى والصلف اذ ,أنهم يؤمنون بدور الصفوه (Elite) فى

صنع وتوجيه الاحداث وقيادة العامه •

أما اصحاب الاتجاهات العلميه السوشيولوجيه والوضعيه فيعتبرون مصطلح الثوره مصطلحا وصفيا وليس له دلاله قيمه ، وان كافة التغييرات التى تحدث التغيير السياسى أو الحكومه فى المجتمع ثورات الى المدى الذى تستند فيه هذه التغييرات الى قاعده شعبيه عريضه •(٩)

وعليه ، فان كل تغيير فجائى وجذرى وعنيف ، فى نظام الحكم والمجتمع ، يشكل ثوره حقيقيه طالما امكن اثبات ان الحركه السياسيه التى قامت بهذا التغيير كانت تتمتع بتأييد قطاع عريض من الشعب •(١٠)

اما اصحاب الاتجاهات اليساريه ذات الطابع الوطنى والقومى فى العالم الثالث ، فيعرفون الثوره بأنها حصيلة النضال فى العالم الثالث ، فيعرفون الثوره بأنها حصيلة النضال من أجل تحقيق التحرر الانسانى من الاستغلال والتبعيه ، ومن أجل احقاق العداله الاجتماعيه ، وبناء قاعده صلبه من الديمقراطيه الشعبيه واطلاق امكانات الجماهير ونهضة الأمه ، ولاثراء حياة المجموع والفرد وتمهيدا للمساهمة فى تقديم سيرة الحضارة الانسانية •(١١) ويرون ان مثل هذه الثوره لاتتحقق الا بواسطة التحالف بين القوى والطبقات الثوريه التقدميه المعاديه للامبرياليه والرأسماليه من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وعسكريين وطنيين تقدميين ، والاستيلاء على الحكم

والاستحواذ على سلطة الدوله ، وتحويلها من اداة لقهر الجماهير الى أداة للتغيير الثورى المنشود فى كافة المحالات الاقتصادية والتعليمية والثقافيه وبهدف نشر الوعى والثقافه الثوريه على نطاق جماهيرى ممكن ، لاسيما للاجيال الجديده.(١٢)

وتظل الثوره ثوره بهذا المعنى العلمى المحدد طالما ظلت متمسكه بأهدافها وغاياتها المعلنه حتى النهايه وقادره على تحقيقها ، اما اذا ضعفت او انتكست او انحرفت عن أهدافها المعلنه ، فأصبحت دكتاتوريه وهى تنادى بالحريه والديمقراطيه ، او اقطاعيه وهى تعلن المساواه ، فلا تنطبق عليها كلمة ثوره .

<u>انقلاب</u> (Coup de' etat)

الانقلاب عمل عسكرى مفاجىء وعنيف تقوم به مجموعه أو فئه من الجيش ضد السلطه الشرعيه بهدف قلب نظام الحكم واحلال سلطه محل أخرى ، وفق خطه موضوعه مسبقا .(١٣)

والانقلاب قد يتخذ عدة اشكال . ففى بعض الحالات النادره يتدخل الجيش لاسقاط حكومه وفرض الحكومه التى يريدها دون أن يشترك مباشرة فى الحكم . وفى حالات اخرى كثيره يتدخل الجيش مباشرة وبالقوه لقلب نظام الحكم واستلام السلطه متذرعا "بعجز المدنيين" و "فساد السياسيين" تارة ، وسوء استغلال الديمقراطيه تارة اخرى .(١٤)

والانقلاب على غير الثوره لايؤدى الى تغيير جذرى في الاوضاع ، وانما يقود فقط الى تغيير نظام الحكم وتشير تجارب الانقلابات العسكريه في العالم إلى أن دول العالم الثالث هي الاكثر عرضه لهذه الانقلابات نظرا لعدم وجود مؤسسات ديمقراطيه ثابته وراسخه تحمى الشرعيه وتعمل على افشال هذه الاساليب والمخططات الانقلابيه • وكثيرا مايؤدى الانقلاب إلى تغيير في الطبقه الحاكمه دون اى مساس بجوهر النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى • (١٥) كما ان نتائج الانقلاب السلبيه كثيرا ماتكون اعمق وابعد مدى من نتائجه الايجابيه • وعليه يجب التفريق بينه وبين الثوره •

<u>انتفاضه</u> : (Uprising)

الانتفاضه حركه شعبيه مسلحه تحدث بصوره مفاجئه عندما تبلغ الصراعات والتناقضات الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه والفكريه ذروتها في بلد ما ، وتصل الى نقطة " الغليان " ويصبح من المستحيل الاستمرار في ظل الظروف القديمه القائده• (١٦)

وكلما ازدادت التناقضات إلتهب الجو الاجتماعى والسياسى العام ، وتهيأت الظروف لتفحير الانتفاضه الشعبيه التى لايمكن التنبوء بزمان ومكان حدوثها • وكثيرا مايتسبب حادث صغير او عارض في تحريك الجماهير للانتفاضه على سلطة الطبقه

الحاكمه او المستعمر ٠

ويخطيء من يظن انه يمكن تفادى الانتفاضه بتفادى الحدث الطاريء المعين المتسبب فيها لان احداثا اخرى غير متوقعه يمكن ان تلعب دورا مماثلا فى تفجير الانتفاضه ٠

وكثيرا ما اقترنت الانتفاضات الشعبيه المسلحه فى العالم المعاصر باسم الشيوعيه وبنشاط الاحزاب الشيوعيه ٠ ويعود ذلك فى المكان الاول الى الاهتمام النظرى الذى أولاه المفكرون والقاده الماركسيون لتحليل مفهوم الانتفاضه وشروطها الموضوعيه وعوامل نجاحها وفشلها والنتائج المترتبه عليها ٠ (١٧) وهى ليست بالضروره كذلك ٠

وقد شهد تاريخ السودان المعاصر اشكالا متنوعه من الانتفاضات الشعبيه - مثل انتفاضه اكتوبر ١٩٦٤م وانتفاضة مارس ابريل ١٩٨٥م ٠

تمرد : (Insurrection)

التمرد يعنى الرفض والخروج على السلطه القائمه والمقاومه غير المشروعه لها ٠ ويقترن التمرد باستخدام القوه والعنف بشكل مباشر لمنع العناصر الممثله للسلطه من القيام بواجباتها الوظيفيه ٠ ويعنى كذلك الدعوه لكافة الاساليب غير المشروعه لتغيير نظام الحكم أو قلب الحكومه القائمه بالقوه ٠ وقد يكون

التمرد في صورة افعال اجرامية تتضمن معنى العصيان والخروج على القانون بل وخيانة الدوله والوطن ·[١٧]

وكثيرا مايستهدف التمرد تقويض أسس السلطه القائمه باستخدام السلاح مما يعرض الدوله ونظامها للخطر · وفي هذه الحالة تحدد القوانين الجزائيه عقوبات صارمه على المتمردين تصل الى الحكم بالاعدام ·

ويختلف التمرد عن الثوره بكونه حاله سلبيه او رفضيه بينما الثوره حاله ايجابيه تستهدف بناء نظام جديد مما يفرض على الثائر الانضباط والالتزام ·[١٨]

الاحداث : (Events)

الاحداث هي سلسله او مجموعه من الوقائع التي تحصل في سياق الزمن وتكتسب اهميه سياسيه او تاريخيه معينه[١٩] وقد تكون بفعل فرد او جماعه ، وبصوره منظمه ، او غير منظمه ، وقد تتفق في الاهداف او تختلف ·

حركه : (Movement)

الحركه في لغة السياسه تعني التيار العام ، محليا كان او عالميا ، الذي يدفع طبقه من الطبقات او فئه اجتماعيه معينه الى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد ومحدد[٢٠] لتحسين

احوالها الاقتصاديه او الاجتماعيه او السياسيه او لتحسينها جميعا • [٢١]

وفى المجال الاجتماعى تطلق عبارة "حركة اجتماعية" على كل نشاط يحقق درجه من النمو والاستمرار تقوم به فئة او جماعة • وقد تكون هذه الجماعه منظمه تنظيما دقيقا، أو تكون فى صوره تلقائيه، او يشوب حركتها نوع من الاضطراب• [٢٢]

وقد تكون أهداف الحركه محدده وواضحه أو مبهمه وغامضه، [٢٣] وقد يكون لها برنامج مرسوم أو تسير حسب الظروف والملابسات • وغالبا ماتهدف الحركه لتغيير بعض النظم القائمه او الاطاحه بها بغية إرساء نظم جديده • [٢٤]

ومن أشهر الحركات العالميه فى تاريخنا المعاصر الحركه العماليه، والحركه الفلاحيه، والحركه الطلابيه، والحركه النسائيه • وترجع اهمية هذه الحركات اساسا الى انها تمثل وتضم فى اطارها القوى الرئيسيه المكونه لا غلبية الشعوب والمجتمعات المعاصرة • وعلى الرغم من انها تكون القوى الرئيسيه للانتاج، الا انها اكثر القوى تخلفا فى كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية • [٢٥]

ونتيجة لممارسات الرأسماليه الصناعيه الخاطئه تجاه هذه القوى الاجتماعيه وتعسفها تجاهها وحرمانها لها من ابسط حقوقها

الانسانيه ، مالبثت هذه القوى ان اكتسبت ، على التوالى وبدرجات مختلفه ومتفاوته ، الوعى الذاتى وأخذت تعمل على تنظيم صفوفها للقيام بعمل موحد ومحدد بهدف تحقيق مصالحها عن طريق كبح جماح الرأسماليه والقضاء على إستغلال الانسان للانسان ٠

والحركه يمكن أن تكون نقابه او إتحادا او جماعه ضاغطه ، أو تيارا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا او فكريا يعمل على تحقيق أهداف اقليميه أو عالميه محدده ٠ والحركه اكثر شمولا من الحزب إلا أنها كثيرا ماتكون أقل تماسكا وانضباطا منه ٠ وقد تلجأ بعض الاحزاب الى وصف نفسها بأنها حركه لتوحى بتحررها من القيود العقائديه والانضباطيه المفروض توافرها فى الحزب السياسى ٠ (٢٦)

ولنستعرض الان ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م لجمعية الاتحاد السودانى :-

تشير معظم مصادر الحركه الوطنيه السودانيه الى مولد جمعية الاتحاد السودانى بأمدرمان فى عام ١٩٢٠م باعتباره بدايه لمرحله التنظيمات والجمعيات السياسيه السريه منها والعلنيه التى ساهمت فى بلورة العمل الوطنى ضد الاستعمار ، واندلاع مانطلق عليه ثورة ١٩٢٤م ٠

وكانت هذه الجمعيه التى تأثر روادها بالحركه الوطنيه

المصريه ، لاسيما ثورة ١٩١٩م ، تدعو الى الاستقلال التام لمصر والسودان ، وتعمل على تهيئة الشعب السوداني للتحرر من النير الانجليزى ، وتعده للنهوض فكريا واقتصاديا .(٢٨) كما كانت تدعو الى تنظيم وتوحد العمل الوطنى لتحرير السودان من النفوذ الانجليزى ، والتمسك بالوحده مع مصر كوسيله لتحقيق تلك الغايه ، وترى أن السودان لاينفصل عن مصر بأى حال من الاحوال .(٢٩)

وعملت الجمعيه على إيقاظ الشعور الوطنى عند السودانيين ، واثارة الكراهيه ضد الانجليز عن طريق المحررات والمنشورات السريه المعاديه للادارة البريطانية ولزعماء الطوائف والعلماء ، ولجريدة الحضارة .(٣٠)

وتكاد تجمع مصادر الحركه الوطنيه السودانيه ان الاعضاء المؤ سسين لهذه الجمعيه هم عبيد حاج الا مين ، توفيق صالح جبريل ، محى الدين جمال ابوسيف ، ابراهيم بدرى ، وسليمان كشه ، هم جميعا من اسر كبيره ،(٣١) وأعضاء بنادى الخريجين ، ومن خريجى كلية غردون ، عدا واحد منهم كان يزاول اعمال التجارة .(٣٢)

وامعانا فى الحيطه والحذر كانت الجمعيه تعمل بنظام " الخلايا " الذى لايسمح لا ى عضو بالانتقال من حلقته الاساسيه الى حلقه اخرى حتى لايعرف اى عضو آخر فى الجمعيه بجانب

اعضاء حلقته والذين لايتجاوز عددهم التسعه ٠ وبهذا لايستطيع اى عضو كشف الجمعيه اذ ان معلوماته عن الجمعيه واعضائهـــا تكون مقتضبـــه ومحدوده للغايـــه ٠ (٣٣)

وظلت الجمعيه ، كما تقول تلك المراجع ، تقود الكفاح ، وتوقظ المشاعر الوطنيه فى صفوف المدنيين والعسكريين دون كلل او ملل ، وتكون لها فروعا فى بعض المدن ٠ (٣٤)

جمعيـــــة اللـــواء الا بيـــض :

وتذكر المصادر ايضا ان جمعية اللواء الا بيض قـــــد تفرعت او انشقت من جمعية الاتحاد السودانى التى رأى بعض اعضائها ، الاكثر صلابة ، وفى مقدمتهم عبيـد حـاج الا مين، رئيس الجمعيه ، ان الوقت قد حان للخروج بالعمل الوطنى مـن السر الى العلن ومن القول الى العمل ، فانضموا الى علــــى عبد اللطيف ليكونوا جمعية اللواء الاءبيض التى تمثل بدايـة الكفاح العلنى ضد الانجليز ٠

ولايعرف عن تاريخ حياة مؤسس الجمعيه السياســـــى الباكر غير كراهيته للانجليز ولحكمهم للسودان ، وانه تشاجـر فى واد مدنى مع مفتش المركز الذى استجوبه عن سبب رفضـه الوقوف له عند مروره عليه ٠ (٣٥) كما تذكر بعض المصـــادر انه قام بتأسيس جمعية اللواء الابيض فى مدنى اثناء فترة عمله

فيها آنــــذاك .(٣٦)

وبدأ نشاط على عبد اللطيف السياسى يظهر بوضــــوح عندما طلب فى مايو ١٩٢٢م، اثناء قضاء اجازته السنويـــــه بالخرطوم، من رئيس تحرير جريدة الحضاره، حسين شريــــف، نشر مقال ضمنه "مطالب الا مه السودانيه" وقد طالـــب فـــى ذلك المقال الذى لم ينشر ، بحق السودانيين فى حكـم انفسهم، وهاجم سياسة بريطانيا فى السودان، واتهمها بالسعى لفصــــل السودان عن مصر وبأنها لم تجلب للسودان وأهله اى منفعــــه، وأ شار الى الذين خطبوا ووقعوا على عرائض الولاء للحكـــــم البريطانى، ووصفهم بأنهم "لايمثلون الا انفسهم"، واحتـــــج على اثقال كاهل السودانيين بالضرائب، وعلى عدم انصاف الحكومه لسكان المديريات، لاسيما أهل الجزيره، الذين انتزعت الحكومه اراضيهم لمشروع الجزيره وسلمتها للشركات الانجليزيه، كمـــــا احتج على احتكار السكر ، وعلى قلة الوظائف الممتازه واحتكارها وحرمان اهل البلاد المتعلمين الاكفاء منها ، وعلى نقص وقصـــور التعليم فى كلية غردون والمدارس الاخرى .(٣٧)

وتسربت محتويات المقال ووصلت الى السلطات السودانيه فقام المستر ولس، مدير المخابرات، باقتحام مكتب رئيـــــس

تحرير الحضاره فى غيبته وتمكن من ضبط المقال واخذه عنده من درج رئيس التحرير . والقى القبض على صاحبه الملازم على عبد اللطيف الذى قدم فى ١٤ يونيو ١٩٢٢ م للمحاكمه امام محكمة الجنايات بالخرطوم بتهمة كتابة واذاعة " منشور يثير الكراهيه فى نفوس الناس ويحرضهم على العمل ضدها" . وعلى الرغم من أن على عبد اللطيف إلتزم الصمت ، ولم يحتج على عدم سماح السلطات البريطانيه للمحامين المصريين وعلى رأسهم مرقص حنا ، نقيب المحامين، الذين أبدوا استعدادهم للحضور للخرطوم للدفاع عنه ، بالحضور للسودان لمباشرة مهامهم ، [٣٩] فقد أدانته المحكمه وعاقبته بالسجن لمدة عام ، فى سجن من الدرجه الثانيه ، [٤٠] وفصل تلقائيا من الجيش بعد المصادقه على الحكم .

واهتزت مشاعر السودانيين لهذه المحاكمه واحاطوا الضابط السجين بعطفهم واعجابهم وتأييدهم ، [٤١] وكانوا ينظرون اليه كشهيد وبطل . [٤٢]

وبالرغم من ان المقال الذى أدين على عبد اللطيف لكتابته لم ترد فيه ، كما جاء فى تقرير ايوارت عن حوادث ١٩٢٤م كلمه واحده لصالح مصر ، أو المناداة بالوحدة معها ، أو التأييد لمطالبها فى السودان ، فقد "هللت" الصحف المصريه له وأشادت به وبموقفه . ان ذنبه الوحيد هو تمسكه بالسياده المصريه على السودان ، [٤٣] ورأت فى رفض السلطات البريطانيه لحضور المحامين المصريين للدفاع

عنه دليلا على مؤامرات بريطانيا فى السودان.(٤٤)

وعند خروجه من السجن فى ابريل ١٩٢٣م، اتجهت الانظار اليه و "اضحى بطلا وطنيا فى نظر الخريجين والضباط معا.(٤٥) وقام باتصالات شخصيه ببعض اعضاء جمعية الاتحاد السودانى وتبادل معهم الزيارات المنزليه،(٤٦) واخذ يدعوهم لتكوين جمعيه سياسية علنيه تعمل لتحرير السودان من النفوذ الانجليزى، والتمسك باهداب مصر كوسيله للخلاص من الحكم الثنائى،(٤٧) وتعضيد وتمكين الوجود المصرى فى السودان.

وتم تأسيس جمعية اللواء الابيض بالخرطوم فى مايو ١٩٢٤م برئاسة على عبد اللطيف، وعضوية كل من عبيد حاج الامين، صالح عبد القادر، حسن صالح المطبعجى، وحسن شريف.(٤٨) وباستثناء على عبد اللطيف رئيس الجمعيه، فقد كان بقية الاعضاء المؤسسين لجمعية اللواء الابيض هم انفسهم قادة جمعية الاتحاد السودانى،(٤٩) وكانوا فى معظمهم من الخريجين الذين يعملون موظفين بالحكومة. واقتصرت عضوية الجمعية على السودانيين فقط، وكان على كل من ينضم اليها أن يؤدى قسما.(٥٠) يجعله خاضعا لقوانينها ومنفذا لاوامرها، وعليه أن يدفع رسم دخول قدره عشرون قرشا واشتراك شهرى للصرف على مطبوعات وتلغرافات الجمعيه، ورعاية عائلات المقبوض عليهم من الاعضاء.(٥١)

وعمد قادة الجمعيه الى تجنيد الاعضاء من بين موظفى البريد والتلغراف حتى يسهل عليهم الاتصال بفروع الجمعيه المخلتفه التى تكونت فى معظم مدن السودان الكبيره مثل مدنى وبوتسودان وعطبره وشندى والابيض ٠ [(٥٢)] ونقل اخبارها للخارج ٠ [(٥٣)] واحتفظت جمعية اللواء الابيض رغم علانيتها بنظام "الخلايا" [(٥٤)] الذى كان معمولا به فى جمعية الاتحاد السودانى ٠ [(٥٥)] لحماية الاعضاء من أعين رجال الامن وتنسيق الاتصال بالجماهير ٠ [(٥٦)]

واتخذت الجمعيه لها علما من القماش الابيض عليه خريطة وادى النيل وفى جانبه الا على، الى اليسار ، هلال صغير ٠ [(٥٧)]

<u>نشاط الجمعيه السياسى :-</u>

ارتبط نشاط جمعية اللواء السياسى ارتباطا وثيقا مضطردا بنشاط وتطورات الحركه الوطنيه فى مصر خاصة بعد ثورة ١٩١٩م وتفاقم الخلافات بين بريطانيا ومصر حول مستقبل السودان ٠

وبدأت الجمعيه نشاطها السياسى العلنى بارسال برقيه لحاكم عام السودان فى مصيفه بأركويت تحتج وتستنكر فيها مايقوم به معسكر حضارة السودان [(٥٨)] من تعاون مع الانجليز لتنفيذ خططهم الرامية الي "فصل السودان عن مصر"، ووضعه تحت الوصايه البريطانيه ، وتطالب فيها بتسجيل وجهة نظرهم حول المسألة السودانيه ، والتى تتلخص فى رفض الوجود الانجليزى

في السودان والمطالبه بحق السودانيين فى حكم بلادهم ، والتضامن مع مصر ، وتوثيق اواصر الوحده بين مصر والسودان، والتعاون مع المصريين فى تحقيق الجلاء عن وادى النيل • (٥٩)

كما قامت الجمعيه فى يوم ١٤ يونيه ١٩٢٤م، بارسال برقية للبرلمان المصرى بمناسبة افتتاحه وتأليف وزارة سعد زغلول تنص على الاتى :-

" نحن المجتمعون هنا من أهالى السودان نتقدم باخلاصنا وولائنا لصاحب الجلاله المليك المفدى ونشارككم فى هذا العيد السعيد ولا نخشى من الوعد والوعيد ولا نرضخ للنار والحديد • (٦٠) ووقع على هذه البرقيه نيابة عن أهالى السودان الاعضاء الخمسه المؤسسين للجمعيه •

وعند نشر الصحف المصريه لهذه البرقيه قامت حكومة السودان آنذاك بنقل ثلاثة من الموقعين عليها ، وهم من موظفى مصلحة البريد والبرق الى مناطق بعيده عن الخرطوم عقابا لهم وردعا للاخرين • وسدا للثغره التى احدثتها تلك التنقلات المفاجئه اعيد تكوين قيادة الجمعية ، وانتخب عبيد حاج الامين الذى عرف بنشاطه وسعة اتصالاته وكيلا عاما للجمعيه بدلا من صالح عبد القادر الذى نقل الى بورتسودان • (٦١)

وفى منتصف يونيو من نفس العام بعثت الجمعيه الملازم اول

زين العابدين عبد التام وبرفقته محمد المهى الخليفه ، ابن الخليفه عبد الله التعايشى "لعرض وثائق ولاء السودان ٠ "وثائق ولاء السودان الاعظم من الاهلين لمليك البلاد " ولتوضيح رأيهم فى مستقبل بلادهم الى الساسه المصريين حتى يكون زعيم الوفد ، سعد زغلول على بينه من حقيقة الموقف فى السودان ويتمكن من الدفاع عن حقوق مصر والسودان فى تفاوضه الجارى آنذاك مع الحكومه البريطانيه ٠

وبالرغم من سرية عضوية الجمعيه وتخفى محمد المهدى الخليفه فى زى خادم تابع لزين العابدين عبد التام ،فقد تمكنت السلطات السودانيه آنذاك من كشف امرهما وقامت باعتقالهما فى حلفا واعادتهما الى الخرطوم تحت الحراسة ٠ (٦٢)

ولما علم اعضاء الجمعيه بأن وصولهما الى محطة السكة الحديد بالخرطوم سيكون بعد ظهر ١٧ يونيو ، توجه " حشد كبير من الجمهور " ، وفى مقدمتهم على عبد اللطيف وعبيد حاج الامين لاستقبالهما ٠ واستقبل القطار فى محطة الخرطوم بالهتاف الحار بحياة على عبد اللطيف وبحياة السودان الحر وبحياة مصر والملك فؤاد ملك مصر والسودان وسعد زغلول ٠ (٦٣)

ولكن خيبة أمل المستقبلين كانت كبيره عندما لم يحدوا محمد المهدى الخليفه داخل القطار ، واتضح لهم أن السلطات

السودانيه قد أنزلته عمدا ، وتحسبا لما قد يحدث فى الخرطوم بحـــرى ٠

واحتجاجا على هذا ، وعلى الحيلولة دون وصول الوفـــد الى مصر ، بعثت الجمعيه فى ١٧ يونيو ١٩٢٤ م ، الى رئاســة مجلس النواب المصرى ، ونقابة الصحفيين المصريين بالبرقيــة التاليـــة :ـ

" نحتج باسم الامه السودانيه ، نسخط مر السخط علـــى سياسة التطويق التى استعملت لمنع الوفد من السفر لعرض وثائـق ولاء السودان الاعظم من الاهلين لمليك البلاد ونطالب بالحـــاح تدخل الحكومه فى الامر بكل ما أوتيت من اقدام وعطف لايقـــاف حروب التنكيل ، وان الامه المصريه قاطبة مسئولة امام التاريـــخ عن كل نازلة تحل بخدام العرش المصرى أينما كانوا ، وان سفينــة يدير دفتها سعد يستحيل ان تصطدم بصخر مهما كانت الزوابـــع والظـــلام ٠" (٦٤)

وكان لتلك البرقيـــة صدى عميق فى مجلـــس النـــواب المصرى الذى ناقش محتوياتها ومدلولاتها فى جلسته بتاريـــخ ٢٣ يونيو من نفس العام ٠ وأعلن "عطفه على السودانييـــن جميعا لتمسكهم الوثيق بمصر" ، كما اعلن "استنكاره للمناورات المصطنعة التى يقوم بها دعاة الاستعمار فـى السودان ٠٠٠٠٠٠٠

وتمسك الامه المصريه بمبدئها الخالد وهو ان السودان جزء لا يتجزأ من مصر "، (٦٥)

وعلى أثر ذلك قام مجلس اللوردات البريطانى بمناقشة موضوع السودان فى جلسته بتاريخ ٢٥ يونيو ، وصرح اللورد بارمور نائب الحكومه بقوله : ان الحكومه البريطانيه لاتترك السودان بحال وهى تقدر التعهدات الواجب تحملها والتى لايمكن تركها من غير ان تصاب سمعة انجلترا بخساره عظمى ، وأستطيع أن أقول من غير تردد أن نظام السودان لن يسمح بتغييره ولا ان ينفذ ذلك التغيير من موافقة البرلمان ." (٦٦)

ورد سعد زغلول على هذا التصريح فى مجلس النواب بجلسته بتاريخ ٢٩ يونيو بتصريح مشهور جاء فيه :ـ

" انى بالنيابة عن الشعب المصرى جميعه وفى حضرتكم الموقره اصرح بأن الامه لاتتنازل عن السودان ماحييت وماعاشت . وهى تسعى للتمسك بهذا الحق فى كل فرصه وفى كل زمان ... وان كنا فى حياتنا لانصل الى أن نتمتع بحقنا فاننا نوصى ابناءنا وذريتنا

ان يتمسكوا به ، ولايفرطوا فيه قيد شعره ، وهكذا يوصون هم أبناءهم وأبناء أبناءهم ولابد ان يأتى يوم يفوز فيه حقنا على باطل غيرنا ....

وقد قوبل هذا التصريح بالتصفيق الطويل والاستحسان والشكر الجزيل والثناء من أعضاء مجلس النواب المصرى (٦٧)

وعلق كشه على تلك البرقيه وما احدثته من ردود فعل داخل وخارج السودان بقوله : " أن يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٤ ، كان يوم تحول فيه تاريخ هذه الجمعيه فى الداخل ، وفى خارج السودان ." (٦٨)

وفى يوم ١٩ يونيو خرجت اول مظاهره سياسيه بامدرمان نظمها اعضاء جمعية اللواء الابيض بقيادة الشيخ عمر دفع الله عضو الجمعيه . وقد بدأت هذه المظاهره بصوره مفاجئه بعد تشييع جنازة المرحوم عبد الخالق افندى حسن مأمور امدرمان ، " وكان من الاداريين المصريين المحبوبين" وعرف بجميل الاخلاق وكريم السجايا " ، فسار فى جنازته ، كعادة

السودانيين فى هذه المواقف ، آلاف من خاصة النـــاس وعامتهم ٠ وبعد أن أبنّــه صديـقه توفيق افندى وهبى المصرى قاضى محكمـة امدرمان الجزئيــه ، بخطاب بليغ ومؤ ثر لاصلــه لــه بالسياســـه جاء فيــه أن هذا الرجل لو مات بين ذويه وأبناء جلدته لمـــا لقى مثل هذا التشييع والتكريم ، نهض الشيخ عمر دفــع اللــه وهتف بحياة مصر وسقوط الانجليز ، ونـــادى بصـــوت جهورى :

" من كان يؤ من بالله واليوم الآخـــر فليقل معى" لتحيا الامــه المصريه ، ليحيا الاستقلال التام لمصر والسودان ٠ ليحيـا الاستقلال التام لوادى النيل فردد الحاضرون هتافه بحماســـــة وقــوة ، وساروا فى مظاهرة صاخبه تحركت من المقبــره الــــى امدرمان حيث طافت بسوقها واستمرت الى مغيب الشمس ٠ (٧٠) وقبض على الشيخ عمر دفع الله وحكم عليه بالحبـــس ستـــــه أشهـــر عقابا له على خطبتــه وتزعمــه لتلك المظاهره ٠

وفى اليوم التالى ألقى الشيخ حسن الاميـــن الضريـــــر امام جامع الخرطوم خطبــه هاجم فيـــها بريطانيـــا وسياستهـا تجاه مشروع الجزيره ، وذكر المصلين بأن واجب كـــل مسلم أن يتمســك بحقــوق مصـــر فى السودان ٠ (٧١)

وفى ٢٣ يونيو ١٩٢٤ ، تحركت اول مظاهره تنظمها الجمعيه فى الخرطوم من جوار الجامع الكبير متجهة الى المحطه الوسطى حامله علم الجمعيه ومردده شعاراتها المعروفه المتمثله فى استنكار واستهجان السياسه البريطانيه فى السودان وتأييد مصر وزعيمها سعد زغلول والدعوة لوحدة وادى النيل . وتصدى البوليس المسلح بالعصى لتلك المظاهره وفرقها بعد ان القى القبض على قادتها .(٧٢)

وازداد نشاط اعضاء الجمعيه بصوره ملحوظه بعد ذلك فأخذوا يوزعون المنشورات فى السوق ويضعون الملصقات على الدكاكين والمقاهى والاعمده ، ونظموا بعض المظاهرات التى امتدت من الخرطوم وامدرمان لتصل الى مدن السودان المختلفه لاسيما بورتسودان وعطبره وشندى ومدنى وكوستى والابيض و ملكال. وكانت تلك المظاهرات كثيرا ماتقوم دون سابق تنظيم ، وتحمل علم الجمعيه وتردد الهتافات العاليه المعروفه مثل فلتحيا مصر وليحيا ملك مصر والسودان وليحيا سعد زغلول ، وكان بعض المتظاهرين يقومون احيانا ، بقذف البوليس والمحلات التجاريه بالحجاره .(٧٣) واصبحت شعارات الجمعيه على السن الجميع حتى تلاميذ المدارس .(٧٤)

ولجأت السلطات السودانيه آنذاك الى اسلوب القمع فقامت باعتقال من تبقى من اعضاء الجمعيه خارج السجن وكان من بين المعتقلين على عبد اللطيف رئيس الجمعيه الذى القى

القبض عليه في ٤ يوليو ١٩٢٤م وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، مع الأعمال الشاقه، بتهمة التحريض على الثوره •

وبسجن على عبد اللطيف وانتقال قيادة اللواء الابيض لعبيد حاج الامين إنقضى عهد الكفاح عن طريق العرائض والمظاهرات السلميه والاحتجاجات، وساد جو عام من المقاومه والتحدى والمواجهه • (٧٥)

لم يقف ضباط الجيش السودانيين بمعزل عن تطورات الحركه الوطنيه في السودان، فقد كان بعضهم على صله وثيقه سواء اكان بجمعية الاتحاد السودانى أو اللواء الابيض، وان تم اتصالهم وانخراطهم في العضويه بصفه فرديه وسريه• (٧٦) ولما تطورت الاحداث بتلك الصوره وجد الجيش نفسه منحازا لصف الوطنيين المتطرفين من رجال الحركه الوطنيه • (٧٧)

مظاهرات المدرسه الحربيه :ـ

وفى صباح يوم السبت الموافق ٩ اغسطس ١٩٢٤م، خرجت اول مظاهره عسكريه قام بها طلبة المدرسه الحربيه بالخرطوم احتجاجا على الطريقه التى اتبعت فى منح الشهادات لمتخرجى المدرسه بالمقارنه بالطريقه المتبعه فى المدرسه الحربيه بالقاهره وابداء لمعارضتهم لمشروع الجزيره، (٧٨) وللمساعى التى ترمى لفصل السودان عن مصر وتجزئة وادى النيل والتعريض باسم جلالة

الملك فى محكمة جنايات الخرطوم، (٧٩) وتعبيرا عن تأييدهم لجمعية اللواء الابيض، واحتجاجا على اعتقال علـــى عبـــد اللطيف. (٨٠)

وخرج المتظاهرون من طلبة المدرسه الحربيـه بالخرطـوم والبالغ عددهم واحدا وخمسين طالبا، فى زيهم العسكـــرى ومسلحين بالبنادق والحراب ومعهم شئ من الذخيره، ويحملـون علما أخضـرا كبيرا، هو العلم المصـرى، (٨١) واتجهـــوا نحو محطة سكه حديد الخرطوم كى يراهم المسافرون وينقلـوا اخبار المظاهره الى اقاليم السودان المختلفه، ومن هنـــاك اتجه المتظاهرون الى منزل على عبد اللطيف، الذى كان معتقـلا بسجن كوبر، وادت التحيه العسكريه امام منزله ووسط جمـــع كبير من الجمهور الذى كان يتابعها مصفقا وهاتفا. واتجهـت المظاهره بعد ذلك صوب سجن الخرطوم بحـرى. وكان المتظاهرون يسيرون بنظام ويهتفون "بحياة مصر والسودان واستقلال وادى النيل وحياة ملك مصر والسودان وحياة سعـد. (٨٢)

ورأت السلطات السودانيه ان من الحكمه عدم التعـــرض للمتظاهرين ماداموا يسيرون بهذا النظام. (٨٣) وواصل المتظاهرون مسيرتهم عبر شوارع الخرطوم وهددوا باطلاق النار اذا حـــاول احد ان يجردهم من أسلحتهم حتى وصلوا الى سراى الحاكم العام

حيث توقفوا هناك واخذوا يهتفون بحياة سجناء الجمعيــــه، وحياة مصر والسودان، وسقوط الانجليز • (٨٤) ومن هنــــاك ساروا هاتفين الى سجن كوبر بالخرطوم بحرى وأدوا التحيــه العسكريه لسجناء اللواء الابيض هناك ثم قفلوا راجعين الـى ثكناتهم بالخرطـوم •

وعند دخولهم الثكنات وجد المتظاهرون ان المخــازن قد جردت اثناء فترة غيابهم من الاسلحه والذخيره، وان المدرسه قد طوقت بقوات بريطانيه مطالبة اياهم بتسليـــم اسلحتهم • وتأزم الموقف وكادت ان تحدث مصادمات مسلحــه بين الطرفين عندما رفض المتظاهرون تسليم اسلحتهم مالــم ترد اليهم الذخائر وهددوا باستعمال السلاح اذا استخدمــت معهم القوه • وهنا تدخل بعض الضباط السودانيين مثل احمــد عقيل وبلال رزق وعبد الله خليل، وأولياء امور بعض الطلبــه فأقنعوهم بتسليم اسلحتهم فسلموها فى المساء دون وقـــوع اى حادث، وبدون أى شروط او ضمانات • (٨٥)

وفى صباح اليوم التالى القى القبض على اربعة من صــف الضباط وسبعه من الطلبه الاخرين الذين تزعموا المظاهره دون وقوع اى حادث وحبسوا فى انتظار محاكمتهم بمجلس عسكرى عادى، بينما حجز بقية الطلاب بالمدرسة • (٨٦) وقـــدم

المتظاهرون فيما بعد ، ٨/٢٧ الى المحاكمه بتهمة الاشتراك فى فتنه لعدم اطاعتهم وانصياعهم للاوامر والسلطات العسكريه ومقاومتهم لها ، وحكم على بعضهم بالسجن لفترات تتراوح بين اربع وثمانى سنوات •

مظاهرة اورطة السكه حديد بعطبره :-

وفى نفس اليوم الذى قامت فيه مظاهرة المدرسة الحربية بالخرطوم ، خرجت اورطة السكه حديد المصريه بمدينة عطبره في مظاهره تهتف بوحدة مصر والسودان •(٨٧) ولم يكن المتظاهرون يحملون أسلحه وانضم اليهم بعض المدنيين• وتمكنت فصيلتان من الجيش البريطانى ، وصلتا من شندى من قمعها • (٨٨) واستؤنفت المظاهره فى اليوم التالى والذى يليه وتسبب المتظاهرون فى إتلاف مبانى السكك الحديديه وورش الصيانه •(٨٩)

وعندما تم استدعاء قوات بريطانيه وسودانيه قامت بمحاصرة المتظاهرين الذين حاولو اختراق الطوق المضروب عليهم على دفعتين ، ولكنهم ردوا باعقاب البنادق • ولما حاولوا مرة اخرى ان يشقوا طريقهم بالقوة امر ضابط احد الجنود باطلاق النار فى الهواء تهديدا للمتظاهرين فظن الجنود ان ذلك امر

بالضرب فأطلقوا النار فقتلوا فى الحال اربعة واصابوا تسعة عشر آخرين كلهم من المصريين باصابات خطيـره ٠ (٩٠)

وبعد السيطره على الموقف تماما ، اصدر الحاكم العـام امرا بحل الاورطه ، وتم ابعاد رجالها من السودان الـى أسـوان فى سبتمبر ١٩٢٤م ٠ واستعاضت مصلحة السكه حديـد بعمـال الدريسه الذين حلوا محل الاورطـه المبعده ٠ (٩١)

وامتدت المظاهرات الى الاورط الاخرى فى اقاليم السودان المختلفه فشملت ملكال حيث قامت الاورطه السودانيه ١٢ جـى المعسكره هناك فى ٢١ سبتمبر بمظاهره غير مسلحه ، اشترك فيها بعض الضباط المصريين وهتفوا بحياة السودان ومصر والملك فؤ اد وسعد زغلول ٠ كما احتج الضباط السودانيون والمصريون فـى الاورطه ١٣ جى فى مدينة واو ، بتاريخ ١٥ ديسمبر على عدم رفـع العلم المصرى الاخضر بدلا من العلم الاحمر السابق، (٩٣) فنقـل بعضهم ووبخ البعض الاخـر ٠

وفى الابيض اشترك الهجانه فى المظاهرات هناك ، كمـا ثـارت الاورطـه ١٠ جى فى تلودى بجبال النوبه واستولـت علـى المدينه مؤ قتا ، وتمكنت الحكومه من السيطره على الموقـف بعد جهـد طويل ٠ (٩٤)

مقتل السير لى استاك :-

وسط هذه الاجواء السياسيه المضطربه فى السودان اغتيل فى القاهره فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤م، السير لى استاك سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان . وحاولت الصحف المصريه المؤيده لحزب الوفد ابعاد المسئوليه عن المصريين . واوحت بأن الجناه لابد ان يكونوا سودانيين مشيره الى انهم فعلوا ذلك لتوضيح ارتباطهم بمصر وتفضيلهم لها على بريطانيا . (٩٥)

وثارت الحكومه البريطانيه لمقتله واتهمت سعد زغلول بتهييج الشعور المصرى الوطنى ضد بريطانيا وحملته ووزارته مسؤولية الحادث، واتخذت منه ذريعة لتنفيذ السياسة التى ظلت حكومة السودان تسعى لتنفيذها طوال العامين السابقين الا وهي طرد المصريين المدنيين والعسكريين من السودان لاتهامهم باثارة الفتن والاضطرابات، وفصل السودان عن مصر . (٩٦)

وطالبت الحكومه البريطانيه فى الانذار الاول الذى وجهه المندوب السامى البريطانى فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤م، لسعد زغلول، رئيس الوزاره آنذاك، من الحكومه المصريه تنفيذ المطالب التاليه :-

١/ ان تقدم اعتذارا كافيا وافيا عن الجنايه ·

٢/ ان تتابع باعظم نشاط، وبدون مراعاة للاشخاص، البحث عن الجناة وان تنزل بالمجرمين ايا كانوا ومهما تكن سنهم اشد العقوبات ·

٣/ ان تمنع من الان فصاعدا ، وتقمع بشده، كل مظاهره شعبيه سياسيه ·

٤/ ان تدفع فى الحال الى حكومة حضرة صاحبة الجلاله غرامه قدرها نصف مليون جنيه ·

٥/ ان تصدر فى خلال أربع وعشرين ساعه الاوامر بارجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحته من السودان مع ما ينشأ عن ذلك من التعديلات التى ستعين فيما بعد ·

٦/ ان تبلغ المصلحه المختصه ان حكومة السودان ستزيد مساحة الاطيان التى تزرع فى الجزيره من ٣٠٠٫٠٠٠ فدان الى مقدار غير محدود تبعا لما تقتضيه الحاجه ·

٧/ ان تعدل عن كل معارضه لرغبات حكومة جلالة الملك فى الشئون المبينه بعد ، المتعلقه بحماية المصالح الاجنبيه فى مصر ·

واذا لم تلب هذه المطالب فى الحال، تتخذ حكومة حضرة صاحب الجلاله على الفور التدابير المناسبه لصيانة مصالحها فى مصر والسودان ·

ووافق سعد زغلول على قبول المطالب الاربعـــه الاولى ، ولكن اصرار وتصميم الحكومه البريطانيه على قبوله الكلـــــى والمطلق لجميع المطالب الوارده فى الانذار دفعه لتقديـــــم استقالتـــه ٠

ومن الواضح ان النيه كانت مبيته من قبل لاملاء تلـــك الشروط القاسيه على الحكومه المصريه ولم يكن حادث اغتيـال السير لي استاك الا الذريعه التى كان ينتظرها المندوب السامى البريطانى لتنفيذ مخططات بريطانيا الاستعماريه فى كل مـــن مصـر والسودان ٠ (٩٧)

وفى نفس اليوم الذى قبلت فيه استقالة سعد ، اى فـــى ١٩٢٤/١١/٢٤ تشكلت وزاره مصريه جديده برئاسة أحمد زيـــور باشا رئيس مجلس الشيوخ ، الذى عرف بولائه للقصر ورضوخـــه للانجليز ٠ ولم يكن للوزاره الجديده برنامج محدد سوى ماذكره رئيسها فى حديث له باحدى الصحف الفرنسيه بأنه يرجو ان يوفق الى انقاذ مايمكن انقاذه " ٠ وقبلت وزارة زيور باشـــــا بالمطالب البريطانيه جميعها وعلى رأسها جلاء الجيش المصرى عن السودان وطرد الموظفين المصريين منه ٠ وصدرت التعليمات من السلطات البريطانيه الى وحدات الجيش المصرى بالجلاء عـن السودان والانسحاب الى مصر ٠ (٩٨)

واصدر الجنرال هدلستون باشا القائم باعمال الحاكم العام والسرداريه بالانابه ، امرا كتابيا الى رؤ ساء وحدات الجيش المصرى برحيل الضباط المصريين الى مصر باسلحتهم ولكن بدون ذخيره •(٩٩)

واحتج الضباط والجنود المصريون على هذا الامر ورفضت المدفعيه بقيادة القائمقام احمد بك رفعت والاورطه ٣ مشاه بقيادة محمد بك يحى باشا تنفيذ الاوامر الصادره اليهم بمغادرة البلاد ، واعلنوا انهم لن يغادروا البلاد مالم يتسلموا أمرا مباشرا من وزير الحربيه المصرى يأمرهم بالجلاء عن السودان •

وعندما قام الجنود الانجليز بمحاصرة ثكنات الجيش المصرى ، وحاولوا الاستيلاء على ذخيرته ، ردهم عنها الضباط والجنود المصريون وامتنعوا فى ثكناتهم ورفضوا السفر •(١٠٠) وتمكن جنود المدفعيه المصريه من الاستيلاء على الذخيره من منفذ بالمخزن لم يعلم به الانجليز ، فخلقوا بذلك وضعا جديدا جعل السودانيين متفائلين بتطور الموقف لصالحهم • واشيع بأن القائمقام احمد رفعت قد هدد بضرب القوات البريطانيه ان هى حاولت الاقتراب ، وان الضباط المصريين قد اتفقوا مع الضباط السودانيين واكدوا لبعضهم البعض ان يبدأ السودانيون بالثوره بالخرطوم ، واذا ما انصرفت الانظار اليهم ، باغتت

المدفعيه والاورطه ٣ مشاه المصريه القوات الانجليزيه بضربها من الخلف ٠ (١٠١)

وتحرج موقف هدلستون باشا القائم باعمال الحاكم العام والسرداريه بالانابه اثر هذه التطورات اذ لم تكن الفرقتان البريطانيتان المعسكرتان بالخرطوم كافيتين لتنفيذ الاوامر التى انيطت بهما لاجلاء القوات المصريه عن السودان، كما لم تكن القوات السودانيه موضع ثقه ٠ (١٠٢) وفى مؤتمر تداولى للضباط البريطانيين بالخرطوم تقرر استخدام القوه اذا اقتضت الضروره ذلك، كما تم استدعاء فرقه بريطانيه للسودان ٠

الصدام المسلح :-

وعندما قررت الفرق السودانيه بالخرطوم وامدرمان وتلودى القيام بمظاهرات تعاطفا وتضامنا مع القوات المصريه واستعدادا لشق عصا الطاعه على الانجليز، كما تمرد واضرب فى الفتره مابين ١٩ و ٢٩ نوفمبر المسجونون السياسيون وطلاب المدرسه الحربيه المحتجزون بالسجن العمومى بالخرطوم بحرى ٠ (١٠٣)

وقرر عدد من الضباط وصف الضباط السودانيين الذين كانوا بمدرسة ضرب النار بالخرطوم، التضامن مع اخوانهم المصريين والانضمام الى الجيش المصرى بالخرطوم بحرى ٠ وضموا

اليهم فصيلة من ضباط ١١ جى اورطه سودانيه لتحقيق هذه الغايه - ويقال ان اولئك الضباط كانوا يظنون ان القائمقام احمد رفعت قائد المدفعيه سينضم اليهم ويطلق المدفعيه المصريه على الطابيه الانجليزيه ، واذا تمكن من اسكاتها ، يصبح من الميسور عليهم اجتياح القوه الانجليزيه واسقاط الخرطوم ٠

وفى اصيل يوم الخميس ٢٧ نوفمبر تحركت فصيلتان من الأورطه الحاديه عشرة السودانيه كانتا قد نقلتا من امدرمان الى الخرطوم لتقوما بالحراسة بعد جلاء القوات المصريه ، بقيادة الملازم اول عبد الفضيل الماظ والملازم ثانى سيد فرح ، قاصدتين الخرطوم بحرى لتحولا دون اخراج الجنود المصريين من ثكناتهم ٠ (١٠٥) وعند وصولهما الى مدرسة ضرب النار بالخرطوم انضم اليهما الملازم اول سليمان محمد والملازم ثانى ثابت عبد الرحيم والملازم ثانى على محمد البنا من الاورطه الثانيه عشره السودانيه ، وكذلك الملازم ثانى حسن فضل المولى من مدرسة ضرب النار ٠ وقد كان الضباط الثلاثه الاوائل ملحقين بالمدرسه كمدربين واقتحموا مخزن الذخيره واخذوا منه اربعة مدافع مكسيم نكرز ، وعددا من صناديق الجبخانه ، ثم توجهوا الى السوق لمواصلة مسيرتهم والانضمام الى القوات المصريه بالخرطوم بحرى ٠

ولما علم هدلستون باشا بهذه التطورات الخطيره امر القوات البريطانيه بمعسكرات برى والخرطوم بحرى بالتصدى للقوه السودانيه والحيلوله دون انضمامها للقوات المصريه . وقامت القوات البريطانيه بسد كافة المنافذ والطرق امام القوه السودانيه . وعندما لم تجد محاولات الكولونيل مكاون، ضابط الاحتياط البريطانى، فى إثناء الضباط السودانيين عن عزمهم توجه اليهم الجنرال هدلستون بنفسه وطلب منهم الرجوع الى ثكناتهم ولكنهم رفضوا ذلك بعناد .

وعندما قفل هدلستون راجعا أمر القوات البريطانيه باطلاق النار من جميع المدافع، وردت القوه السودانيه، التى تحصنت داخل جدول كبير اعد لتصريف المياه، بالمثل فقتل منهم عدد كبير وقتل ثلاثه ضباط من الجانب البريطانى.(١٠٦) واستمر تبادل اطلاق النار بين الطرفين حتى الساعه العاشره مساء حيث انكسرت شوكة الثوار ولحقت بهم الهزيمه،(١٠٧) بعد أن تناقصت ذخيرتهم وكادت ان تنفد .

وعندها اقتحم عبد الفضيل الماظ وبرفقته عدد من الجنود السودانيين مستشفى الجيش المصرى آنذاك حيث حصلوا على بعض الذخيره وتحصنوا بمبانيه .

وفى فجر اليوم التالى ١١/٢٨ شرعت القوات البريطانيه

فى البحث عن الثوار ٠ وما ان تقدمت صوب مبانى المستشفى العسكرى حتى امطرها الثوار بوابل من نيران بنادقهم فقتلوا واصابوا عددا من الضباط والجنود البريطانيين ٠ وكانت المبانى كثيره ومبعثره ويصعب تحديد اماكن الثوار بدقه ٠ واحتمى بعض الثوار بميس الضباط المصريين وابدوا مقاومه ضاريه افشلت كل محاولات القوات البريطانيه لدحرهم والقضاء على مقاومتهم ٠ وعندما لم تفلح القنابل اليدويه ونيران المدافع الرشاشه فى دحر الثوار احضرت القوات البريطانيه المدفع الوحيد الثقيل عياره ٤٫٥ بوصه الموجودة بالحامية وقذفت منه ثلاثين قنبلة [١٠٨] فى محيط مائة يارده ، وتحركت لاقتحام المبنى الذى ظنت انه قد دمر ٠ ولكن فشلت محاولتهم وردوا على اعقابهم بعد ان فقدوا خلالها الكثير ٠ وبعد ساعات متصله من الضرب بالقنابل تمكنت القوات البريطانيه من الوصول الى مبنى المستشفى العسكرى بعد ان هدته على رؤوس الثوار ٠ وكان من بين القتلى عبد الفضيل الماظ الذى وجد ممسكا بمدفعه بكلتا يديه ، واربعة عشر ضابطا وثلاثة عشر جنديا ٠[١٠٩]

وانتهت بذلك المعركه وانطفأت جذوة الثوره من جانب الفرقه الحاديه عشره السودانيه ٠ واعقبت ذلك حركة مطاردات واعتقالات لكل الثوار او من اشتبه بأنه منهم ٠

وفى نفس اليوم الذى انكسرت فيه شوكة المقاومه

السودانيه اى فى يوم ١١/٢٨ ، وصل الى الخرطوم على متـــن طائره حربيه البكباشـى أمين هيمـــن يحمل الرسالـه التـــى بعث بها وزير الحربيه المصرى صادق يحى باشا الى ضباطـــه وجنوده بالسودان يأمرهم فيها بالكف عن مقاومة الاجـــراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام، والاذعان للامر بسحب الجيش المصرى من السودان وأبلغ المبعوث الضباط بالرسالـــه واخبرهم ان الملك يأمرهم بالانسحاب، "فأذعن الضباط والجنـود للامر آسفين محزونين"، وجلا الجيش المصرى عن السودان فى ٢٩ و ٣٠ نوفمبر، واول وثانى ديسمبر ١٩٢٤ م .

واصيب الكثير من رواد الحركه الوطنيه السودانيه آنـذاك بخيبة امل كبيره عند انسحاب الجيش المصرى الذى مناهـــم، كما يقول البعض، بالدعم والمساعدة فى حالة قيامهم بالثـوره ضد الانجليز، ورأوا فى ذلك الانسحاب وبتلك الصوره جبنـــا وخيانـــة .

وفى شهر ديسمبر من نفس العام قدم اربعة من الضبـــاط الذين قادوا الثوره ، وهم حسن فضل المولى، ثابت عبد الرحيم، سليمان محمد وعلى البنا الى المحاكمه بتهمة التحريض علـــى العصيان أمام محكمة عسكرية كبرى عقدت بالخرطوم وقضـــت المحكمه باعدامهم جميعا رميا بالرصاص . ونفذ الحكم فـــى الثلاثه الاول فى ٥ ديسمبر ، اما الرابع وهو على البنا فقـــد

عدل له حكم الاعدام بالسجن المؤبد لان رجال المخابرات اوضحوا بأنه كان يمدهم بمعلومات عن الحوادث التى وقعت فى ملكال. [١١٠] اما الملازم ثانى سيد فرح والذى حكم عليه بالاعدام غيابيا فقد تمكن ، رغم الجراح التى اصيب بها فى صدام ١١/٢٧ المسلح ضد القوات البريطانيه . والجائزه الماليه الكبيره التى رصدت لمن يقبض عليه ، من الهرب الى مصر ودخل فى خدمة الحكومه المصريه .

وتؤكد المصادر التاريخيه المتداوله ان الثوار قد استقبلوا الموت بشجاعه فائقه وبطوله نادره ، وكانت آخر كلمه لكل منهم قول :ـ " لهذا الشوف عملت . وفداء للوطن ولدت . وللوحده المصريه السودانيه جاهدت . [١١١] وقد حكم على بقية المعتقلين السياسيين الذين استعملت معهم ضروب القسوه والمهانه والتعذيب فى سجونهم ، بالسجن لفترات متفاوته تتراوح بين اربع وعشر سنوات .

واحكمت بذلك بريطانيا قبضتها على السودان ، واعلن السير جفرى آرثر ، حاكم السودان العام الجديد ، فى يناير ١٩٢٥م عن انشاء "جيش دفاع السودان" ليحل محل الجيش المصرى ، ويدين افراده بالولاء لحاكم عام السودان ، ويستوعب فيه الضباط السودانيين ذوو الجداره الذين كانوا يعملون بالجيش المصرى . [١١٢]

وكان فى انشاء جيش دفاع السودان بتلك الصوره وفى تلك الظروف والملابسات حذف كامل للوجود المصرى الفاعل بالسودان عن مصر ٠

وفى ١٩٢٥/٢/٢٩م قدم رئيس وأعضاء جمعية اللواء الابيض الى محكمة كبرى مشهوره عقدت بكوبر بالخرطوم بحرى، بتهمة التآمر لارهاب الحكومه بالقوه الجنائيه، والانتماء الى جمعيه غير قانونيه، والترويج والقيام بمظاهرات واثارة الكراهية والتحريض والازدراء ضد الحكومه المؤسسه شرعا، وبث روح الحقد والعداوه بين طبقات الاهالى ضدها ٠

وصدر الحكم بسجن على عبد اللطيف سبعه سنوات وصالح عبد القادر سنتين، وعبيد حاج الامين ثلاث سنوات، وحسن شريف سنتان٠ كما حكم على اعضاء الجمعيه الآخرين بالسجن لفترات متفاوته تتراوح بين سته اشهر وسنه٠ ثم رأت المحكمه نفى على عبد اللطيف ومحمد عثمان البخيت وعبيد حاج الامين الى واو٠ وبقى هؤلاء نحو عشرين عاما بالمنفى مات خلالها عبيد حاج الامين وعاد منها على عبد اللطيف بعلة اودت بحياته فى مصر فى ٢٩ اكتوبر ١٩٤٨م٠

ولنحاول الان ايجاد تعريف علمى دقيق لما حدث فى السودان فى عام ١٩٢٤م من خلال اجابتنا على التساوءلات التاليه :ـ

ماحقيقة ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م ؟

وهل يمكن أن نطلق عليه ثوره ام مـاذا ؟

للاجابه على هذه التساوءلات علينا ان نبدأ بتعريف الثوره وتحديد اهدافها وغاياتها وظروفها وملابساتها حسب التعريفات السابقه، (١١٣) ثم نرضخ ماحدث فى السودان فى عام ١٩٢٤م كما اوجزناه فى هذا البحث، لدراسة تحليلية موضوعية شاملة بقصد الوصول الى حقيقته ومعرفة ما اذا كان يمكن ان نطلق عليه ثوره ام لا ؟

ان الثوره تعنى، كما اسلفنا ، حدوث تغيير جذرى شامل الى الافضل عن طريق القوه ولاتخلو عادة من العنف ٠ والتغيير الجذرى هنا يعنى تغييرا شاملا وكاملا فى نظام الحكم وتحولا جذريا وعميقا فى كافة أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية فى المجتمع المعنى ٠

ولما كان معروفا ان ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ لم يؤد الى هذه الغايه، يكون بذلك قاصرا عن الايفاء بأهم شرط من شروط الثوره الا وهو حدوث التغيير الجذرى الى الافضل ٠

ليس هذا فحسب بل لم يكن لقادة ما نطلق عليه ثورة ١٩٢٤ فكر ولا تخطيط ولا نهج متكامل أو برامج محدده لتحقيق هذه الغايه ٠ كما كان هنالك عدم وضوح فى الرؤيه بالنسبة لهم فيما يتعلق بأهداف وغايات الجمعيات السياسيه التى ألفوها والنشاطات التى مارسوها ٠ ويظهر لنا ذلك بصوره واضحه وجليه فى محاكمات أعضاء جمعية اللواء الابيض وفى الروايات الشفويه لثوار ١٩٢٤ ٠

فبينما كانت جمعية الاتحاد السودانى تهدف الى تحرير السودان من النفوذ الانجليزى، وتعمل على ايقاظ الشعور الوطنى عند السودانيين واثارة الكراهية ضد الانجليز ، الا ان نشاط تلك الجمعيه بالرغم من تهويل واسهاب بعض الكتاب السودانيين فى وصفه، كان محدودا وقاصرا على كتابة وتوزيع بعض المنشورات والملصقات السياسيه على مدن العاصمة الثلاث • وقد ارجعت المخابرات السودانيه إعداد وتوزيع تلك المنشورات الى مترجم الفرقه السودانيه الحاديه عشرة المصرى، واوضحت ان توزيع وتداول تلك المنشورات فى الخرطوم قد توقف بعد اعتقاله• (١١٤) كما ان الجمعيه لم تعمل بل ولم تطالب باحداث اى تغيير فى أوجه الحياه السودانيه المختلفه ولم تناد بالاستقلال التام والناجز للسودان وانما كانت تنادى باستقلال مصر والسودان معا وتتمسك بالوحده مع مصر واقامة وحدة وادى النيل • هذا فى الوقت الذى كان فيه بعض كبار الضباط السودانيين مثل عبد الله خليل وحامد صالح الملك على صله بالجمعيه الا انهم لم يؤ منوا بفكرة وحدة وادى النيل ولم يتحمسوا للعمل لتحقيقها •

اما جمعية اللواء الابيض، فبالرغم من أن رئيسها قد طالب فى أول مقال له بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم فان أهدافها كانت مشابهه لاهداف الاتحاد السودانى، بل إن رئيسها نفسه لم يعد متمسكا بتقرير المصير ، وانخرط فى سلك الموالين

لمصر والمنادين بوحدة وادى النيل ٠ وقد جاء فى اقوالــــه امام المحكمه انهم، أي اعضاء الجمعيه، كانوا راضيــن عــن الاوضاع فى السودان آنــذاك، وانهم من المعارضين لتغييرهـــا خوفا من ان يكون الانجليز ، دون المصريين، مطلقــى التصـرف فى السودان ٠ وفى حالة عدم ثبوت الحاله الحاضره فقد اوضــح انهم يفضلون المصريين على الانجليز ويريدون ضم السودان لمصر ٠ (١١٥)
كما ذكر عبيد حاج الامين فى اقواله امام المحكمــــه وبوضــوح تــام ، ان هدف الجمعيه هو ضم السودان لمصر ٠ وعلل ذلـــك بقولـه ان مسألة السودان معلقه بين مصر وانجلترا ومصيـــره ان يلحق بأحدهما ٠ (١١٦) وقد ايدهما فى ذلك صالح عبد القـــادر الذى ذكر للمحكمه المعنية انه لا أمل لهم ولا رجاء فـــــى الاوضاع الراهنــه آنــذاك والافضل لهم الانضمام الى مصــــر ٠ (١١٧)
وقد كان هذا هو نفس منحى عبد الفضيل الماظ الذى اجاب علــى ســؤال مكاون باشا قومندان الخرطوم ومدير المخابرات، عـــن وجهتــه بقولـــه :

" أنا جندى مصرى واريد الانضمام الى السطوبجيـه المصريه بالخرطوم بحرى" (١١٨) ولا ادرى كيف يمكن ان نطلق عليهـــــا ثـوره وطنيــه وزعماوءها لم يطالبوا بالاستقلال التـــام والناجــز للسودان بل كانوا يريدونه ان يكون جزءا لايتجزأ من مصــر ٠

ولا ادرى ايضا كيف يمكن ان يتحقق الاستقلال للسودان اذا توحد مع مصر وتحققت وحدة وادى النيل التى كانوا يحلمون ويطالبون بها ٠

ثانيا :-

ان الثوره ، كما اوضحنا ، لاتقوم بمشيئة او رغبة فرد معين وانما تستلزم لقيامها ظروفا موضوعيه وصراعات وتناقضات سياسيه واجتماعيه واقتصاديه وفكريه حاده وعميقه داخل المجتمع ، وظهور ازمه عامه تزداد فيها معاناة الشعب الى اقصى حد ممكن ، ويزداد فيها تبعا لذلك سخطه على الاوضاع السائده ورفضه القاطع لها وتصميمه على إحداث التغيير المطلوب ٠(١١٩)

فاذا نظرنا الى الاوضاع والاحوال الاجتماعيه والسياسيه والاقتصاديه والفكريه التى كانت سائده فى السودان آنذاك اى فى عام ١٩٢٤م ، نجد أنها لم تكن قد نضجت او تهيأت لاندلاع الثوره ٠ فقد كان المثقفون قله وامكاناتهم وتحركاتهم محدوده ، وكانت أوضاع السودان الاجتماعيه والاقتصاديه متخلفه ، وكان الانجليز يقبضون على ناصية الامور ولايسمحون بالتطور الثقافى او التحرك السياسى الا فى حدود ضيقه لاتتعارض مع مصالحهم الحيويه فى السودان ٠

وبالرغم من ظهور معارضه سياسيه للوجود البريطاني في السودان متمثله في اعضاء جمعية الاتحاد السوداني واللواء الابيض والمتعاطفين معهم من المثقفين وصغار الموظفين الا ان عدم الوعي السياسي والنضج الفكري حال دون بلورة الصراع ضد الاستعمار بصوره شامله • كما ان زعامات السودان التقليديه متمثله في زعماء الطوائف الدينيه وشيوخ القبائل والمتعاطفين والمثقفين، معهم كانوا يساندون الحكومه الاستعماريه وترى فيهم الاوصياء على مصالح المواطنين الى ان ينالوا بمساندتهم وبمساعدتهم الحريه والاستقلال •(١٢٠)

كما لم يكن هنالك احساس عام بالمعاناة في السودان ولم تظهر الازمه العامه المطلوبه لاندلاع الثوره • ولابد لنا من الاشاره الى ان توقيت القيام بالثوره قد املته عوامل واحداث خارج السودان من أهمها تدهور العلاقات بين مصر وبريطانيا واختلاف مواقفهما تجاه المسأله السودانيه، ومقتل السير لي استاك والامر الصادر باجلاء الجيش المصري عن السودان •(١٢١)

وما ان علم الضباط والجنود السودانيون بتصميم الجيش المصري على عدم مغادرة السودان، وحصلوا، كما تذكر بعض المصادر التاريخيه، على وعد من القائمقام احمد رفعت قائد سلاح المدفعيه بضرب الطابيه الانجليزيه وتحطيم معسكرات الجيش الانجليزيه بالخرطوم • وقلب معالم دورهم رأسا على عقب"،

الا واثنوا على موقف المصريين واشادوا بقائدهم وشرعوا فى القيـام بالثوره ضد عدوهم المشترك - الانجليز - دون ان يكونوا مستعديـن لها ودون ان تكون الظروف والملابسات داخل السودان قـد تهيـأت لانجاحهـا .

ونتيجة لذلك ونظرا لابتعاد كبار الضباط مثـل عبـد اللـه خليل ، عن قيادة الثوره ، فقـد اصبحت القياده العسكريـه بأيدى صغار الضباط قليلى الخبره والتجارب ومن ثم ارتكبت بعـض الاخطاء والتصرفات الطائشه والساذجه التى ادت الى فشل الثوره .

واصيب السودانيون المهتمون بالامر بخيبة امـل كبيره لفشل المحاوله وانحى بعضهم باللائمه على الجيش المصرى فـى السودان لعدم الوفاء بوعده بالمساعده وعدم تدخله لصالحهم عندما احتـدم الصدام المسلح بينهم وبين الانجليز ، ولاذعان قادته للاوامر الصادره اليهم بمغادرة السودان ، ووصفوهم بالجبن والتخاذل والخيانـه ، واشار المؤرخ السودانى محمد عبد الرحيم الى ان السودانيين كانوا قـد "أخطأوا المرمى لحسن ظنهم بأولئك الضباط الذين استدرجوهم الى السقوط فى هاوية الفتنه واندحروا امام السيطره الانجليزيـه لاسباب تافهه وغير معقوله كضعف المدافع عن مقاومة الطابيـه الانجليزيه ، وقلة الذخيره ، وغير ذلك من الترهات .(١٢٣)

وبينما اتهمت السلطات البريطانيه الضباط المصرييـن

بتحريض السودانيين على الثوره ، واشارت الى انها حصلت على أدلـه دامغه تؤكد أن حركة التمرد فى السودان كان يديرها المصريون بقيادة احد كبار ضباط المدفعيه وان هذا التحريض قد صدر بعد ان تسلمت الوحدات المصريه الاوامر بالسفر ، تؤكد المصادر المصريه ان شيئا من هذا لم يحدث ، هو الدليل القاطع على أن حركة التمرد هذه لم تكن بتحريض الضباط المصريين ٠ (١٢٤)

وتضيف تلك المصادر ان القوات المصريه المعاصره كانت تعتقد ، حسب الاشاعات التى اطلقت فى ذلك الحين ، أن الاورطه السودانيه كانت تريد مهاجمة السجن لاستخلاص اقاربهم منه ، ومن ثم فان الحركه السودانيه لم تأخذ فى أذهان المصريين الصوره التى كانت لها ٠ (١٢٥) كما ان حركة المقاومه التى قامت بها الوحدات المصريه "لم تكن تستهدف البقاء فى السودان كما توهم السودانيون" لأن الذخيره التى كانت فى يدها لم تكن تسمح بمجرد التفكير فى ذلك ، ولكنها كانت تهدف الى ان تسافر القوه المصريه بأمر الحكومه ، وان يكون السفر بجميع الاسلحه والمهمات والذخائر وبالشرف العسكرى وباختصار فان حركة القوات المصريه فى السودان كانت تهدف اساسا الى المحافظه على شرف الجيش المصرى "فلا يساق كالاغنام تحت حرس عليه ، لابسا لباس الذل والهوان ٠ (١٢٦)

ثالثـــــــا :ـ

بينما يرتكز الفكر الثورى فى مجمله على نظرية المساواه الطبيعيه بين البشر ، وعلى سيادة الشعب التى تقوم على انكار سلطة الملكيات المطلقه سواء تلك التى تستند على الحق الالهى او غيرها ، وعلى انكار شرعية امتيازات طبقة النبلاء وعلى التحرر الانسانى من الاستغلال والتبعيه، واحقاق العداله الاجتماعيه وبناء قاعده صلبه من الديمقراطيه الشعبيه ٠ واطلاق امكانات الجماهير لتحقيق نهضة الامه، نجد ان قادة ثورة ١٩٢٤م لم يستوعبوا هذه المفاهيم الثوريه ولم يشيروا إليها من قريب او بعيد ، بل كانوا يدينون بالولاء والطاعه لملك مصر والسودان ويهتفون به وبحياته، وبحياة الوفد وسعد زغلول وعند انسحاب الجيش المصرى من السودان اصر بعض الضباط السودانيين على اللحاق به والانضمام اليه، وقال بعضهم "نحن مصريون واقسمنا يمين الطاعه لجلالة ملك مصر فلابد لنا من السفر مع اخواننا المصريين" ٠ (١٢٧) كما وصف قادة وصناع ثورة ١٩٢٤م انفسهم والشعب السودانى، فى برقيتهم المشهوره التى ارسلوها الى مجلس النواب المصرى ونقابة الصحفيين المصريين بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٢٤م، بأنهم خدام العرش المصرى ٠

رابعــــــا :-

ويشترط فى الثوره ان تكون نابعه من الشعب وتعبـر عـن ميولـه ورغباتـه وتوجهاتـه وفكـره ، وان تستند كافـة التحولات والتغييرات السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه والفكريـه التى تحدثها الثوره على قاعدة شعبية عريضه وصلبه ، وتكـون بذلك الثوره مدعومـه ومؤيـده تأييدا كاملا وقويـا مـن الجماهيـر ٠

وعلى الرغم من عدم توفر احصائيات دقيقـه عـن عـدد أعضاء جمعيـة الاتحاد السودانى وجمعية اللواء الابيض وهـى الاكثر شهره ونشاطا من بقيـة الجمعيات ، يتجاوزوا فى يونيـه ١٩٢٤ مائة وخمسين عضـوا ٠ وقد كانوا فى جملتهم من صغـار السن ، وصغار الموظفين والمثقفين وقلـة من ضباط الجيش والجنود ولم ينخرط فى عضويتها الا القلـة من ابناء الاســر الكبيـره من ذوى المكانه الاجتماعيه والاقتصاديه والدينيه المرموقـه فـى المجتمـع ٠

كما ان المظاهرات التى قامت آنذاك ، والتى يشير اليهـا بعض المؤرخين السودانيين بحماس واعتزاز كدلاله واضحه علـى تأييد ومشاركة الشعب السودانى فى احداث تلك الثوره ، لم تكـن كافيـه لاعطاء السند الشعبى المطلوب للثوره ٠ فقد كانت تلـك

المظاهرات قاصره على بعض مدن السودان الكبيره ولم تمتد الى الاقاليم والقرى ولم تكن منظمه ولا هادفه ولم تشارك فيهـــا إلا فئات قليلـه من الشعب السودانى، وكثيرا ماكانت تستقطب، كما يحدث فى معظم المظاهرات، اعدادا اضافيه من الغوغاء والدهمـاء ·

كما كانت تلك المظاهرات تقوم احيانا بمبادرات فرديـه استجابة لتحديات شخصيه مثل ابعاد شائعة الخوف والهرب من المظاهرات، او نتيجة للاستفزازات الجماعيه التى تعرض لهـا اعضـاء الجمعيه واتهامهم بالخوف من مجابهـة البوليس بعد ان اصدرت السلطات السودانيه أمرًا بحظر المظاهرات ·

هذا وقد تنصل الكثير من اعضاء الجمعيه البارزيـن من المشاركه فى المظاهرات مثل حسن الشريف وعبيـد حـاج الامين الذى كان معروفا بعدم تأييده لها وكان رأيـه ان المظاهرات لافائده منها ولاينتج منها الا القبض على الناس" وصالح عبد القادر الذى ذكر انه لم يشارك فى المظاهرات ولـم يستحسنها شخصيا ، واوضح ان الجمعيه لادخل لها بالمظاهـرات لان قانونها لايشير الى ذلك على الاطلاق·(١٢٨)

وانحصرت معظم نشاطات جمعية اللواء الابيض السياسيـه ومظاهراتهم فى مدن العاصمه الثلاث، وظلت الاقاليم،

بعض الاستثناءات هادئة نسبيا ، وكتب براون حاكم كسلا ، في سبتمبر ١٩٢٤م ان الاحوال في تلك المديرية كانت هادئة بشكل غير طبيعي ، بالرغم من وجود بعض اعضاء جمعية اللواء الابيض في الجيش والادارة ٠ (١٢٩) كما اشار الحاكم الاقليمي في الكاملين بمديرية النيل الازرق ، لعدم حضور الجمعيه في الاقليم ، وعدم ظهور أي مشاكل هنالك ٠ وذكر أنه لم تكن هنالك أي اضطرابات في مدني وان احداث الخرطوم كانت بمثابة المفاجأة الكامله للموظفين هنالك ٠

وبالرغم من حدوث تمرد واضطرابات في اوساط بعض الضباط والجنود السودانيين في بعض الحاميات في جنوب وغرب السودان ، الا انه لم تكن هنالك مشاركه جماهيريه تذكر ، لاسيما وان فكرة الوحدة مع مصر التي ارتبطت بحوادث ١٩٢٤م ، لم تكن مقبوله ولا وارده عند أهالي تلك الاقاليم ٠

ونخلص من هذا الى ان حضور ونشاط جمعية اللواء الابيض وغيرها من الجمعيات العلنيه والسريه ، في قرى واقاليم السودان المختلفه كان قاصرا ومحدودا من حيث الكم والكيف ولم ينجح في استقطاب السند الجماهيري اللازم لانجاح الثوره ٠

خامســـــا :-

من الشائع والمعروف ان نجاح الثوره لايتحقق الا عن طريق التحالف بين القوى والطبقات الثوريه المعاديه للاستعمار والرأسماليه من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وعسكريين وطنيين تقدميين، والاستيلاء على الحكم والاستحواذ على سلطة الدوله وتحويلها من أداة لقهر الجماهير إلى وسيله للتغيير الجذرى المنشود فى كافة المجالات السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه والفكريه، ونشر الوعى والثقافه الثوريه على أوسع نطاق جماهيرى ممكن لاسيما بين الاجيال الصاعده .

فاذا ارضخنا ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م، لهذه المعايير والمفاهيم الثوريه نجد إنها لاتنطبق عليه كليا او جزئيا ولم تكن هنالك ثوره بهذا المعنى العالمى للثوره، اذ ان ماحدث فى السودان آنذاك لم يرتكز على قاعدة شعبية عريضه ولم يكن ناتجا عن تحالف بين فئات الشعب المشار اليها آنفا .

وبدلا من التحالف والاتفاق بين فئات الشعب المختلفه للقيام بالثوره ومحاربة الاستعمار وتحقيق الحريه والاستقلال التام للسودان كان هنالك انقسام وخلاف بين رواد الحركه الوطنيه فى السودان الذين اختار كل فريق منهم احد الشريكين غير المتفقين فى حكم السودان الا وهما مصر وبريطانيا ، وأخذ يعمل

ويتعاون مع احدهما ضد الفريق الاخر .

فبينما كان الفريق الاول متمثلا فى جمعية اللواء الابيض والتعاطفين معها من صغار الموظفين والجنود والضباط وبعض المثقفين والتجار يعارضون سياسة بريطانيا فى السودان ويتهمونها بالتآمر لفصل السودان عن مصر والانفراد بالسياده عليه، ويطالبون بجلاء الانجليز عن السودان والارتباط مع مصر وتحقيق وحدة وادى النيل، ويهاجمون الفريق الآخر ويتهمونه بالعماله للانجليز . كان الفريق الاخر متمثلا فى معسكر الحضاره يهاجم ويعارض إدعاء مصر المتكرر بالسياده على السودان، ويرفض إنفرادها بحكم السودان ويجاهر بتفضيله للحكم البريطانى على الحكم المصرى بحجة ان بريطانيا أقدر الشريكين وارقاهما وأخبرهما بقواعد الحكم وطرق الاصلاح وارسخهما فى اساليب تربية الامم وارشاد الشعوب حتى يستطيعوا ان يبلغوا سن الرشد الاجتماعى غير متنازع فى ميولهم ولا متجاذب فى شئونهم .(١٣٠)

وكان هذا المعسكر مؤيدا ومدعوما ماديا وادبيا من قبل قيادات السودان التقليديه من زعماء الطوائف الدينيه وشيوخ القبائل والاعيان ذوى المراكز والنفوذ والاتباع الذين هادنوا الانجليز ووقعوا العرائض والمذكرات المؤيده لهم وتعاونوا معهم ووقفوا ضد المعسكر الآخر الذى كانوا ينظرون اليه باعتباره

تحديا لزعامتهم وقيادتهم التقليديه اكثر منه تحدٍ للاداره البريطانيـــه ٠

وتمكنت السلطات البريطانيه في السودان بتأييد وتشجيع الزعامه التقليديه من التصدى لقادة الحركه الوطنيه الجـــدد الموالين لمصر ومن اتخاذ خطوات فعاله لتحجيمهم والقضـــاء عليهم وعلى نشاطهم واحلامهم باعتقالهم وزجهم فـى السجـــون وبطرد الجيش المصرى من السودان فى اواخر عام ١٩٢٤م ٠

وقد القت هذه الخلافات بظلالها القاتمه علـــى مســار الحركه الوطنيه السودانيه الى ان نال السودان استقلالـه فـــى عـــام ١٩٥٦ م ٠

سادســــــا :-

ومن المعروف والشائع أيضًا ان السريه والدقـه فى التخطيط والتنفيذ تعتبران من اهم عوامل نجاح العمل الثورى ٠ فـــاذا نظرنا الى تنظيم وتخطيط ونشاط الجمعيات السودانيه السريـــه والعلنيه ، التى شاركت فى قيام ما نطلق عليه ثورة ١٩٢٤م وجدنا انها ، بالرغم مما يقال عن سريتها ودقة تنظيمها ، تفتقـــر الى التخطيط السليم والتنظيم الدقيق والسريه فى العمل ٠

ويبدو ان هناك غموضا وتداخلا فى نشأة وتطور ونشـــاط تلك الجمعيات اكثر منه سرية فى العمل ودقة فى التخطيـــط

والتنفيذ • ويورد الكتاب والمؤرخون السودانيون اسماء جمعيات ومجموعات وطنيه كثيره مارست العمل السياسى ضد الاستعمار البريطانى فى السودان آنذاك، وكثيرا ما اشاروا الى جمعية الاتحاد السودانى والشبيبة الناهضه والاخوان الخمسه باعتبارها جمعيات وجماعات سابقه لجمعية اللواء الابيض •

ولكن هنالك تساو لات عده حول نشأة وتطور ونشاط تلك الجمعيات، بل هنالك شكوك حول وجودها اصلا وهل هى جمعيات حقيقيه ام وهميه •

فبينما نجد بعض مؤرخى الحركه الوطنيه السودانيه مثل سليمان كشه وغيره، يتحدثون عن جمعية الاتحاد السودانى ويعتبرونها اساس العمل الوطنى فى السودان آنذاك ويبالغون فى وصف تنظيمها ونشاطها وسريتها نجد البعض الآخر مثل محمد عبد الرحيم قد انكر وجود هذه الجمعيه نهائيا وذكر أنه لاتوجد جمعيه ولا اتحاد بهذا الإسم • (١٣١)

كما ان على عبد اللطيف نفسه قد ذكر ان هذه الجمعيات لم تكن جميعها سابقه لجمعية اللواء الابيض ولكن كانت هنالك مناشير تأتى من مصر موقع عليها باسم الشبيبة الناهضة والاخوان الخمسه وعلل وصول تلك المناشير من مصر لعدم

وجود مطابع بالسودان آنـذاك •[١٣٢]

كما تشككت المخابرات السودانيه كثيرا في وجود هـذه الجمعيات ورجحت وجود جمعيه صغيره في امدرمان باسم الاتحاد السوداني وذكرت ان معظم اعضائها من المصريين و " المولدين " •[١٣٣]

والملفت للنظر حقا ان هنالك غموضا وعدم دقه في تحديد زمان ومكان نشأة جمعية اللواء الابيض نفسها • فبينما يذكر البعض انها تفرعت او انشقت من جمعية الاتحاد السوداني، ونشأت وتطورت في الخرطوم في مايو ١٩٢٤م، يذكر البعض الاخر انها قد است في مدني قبل ذلك بكثير بواسطة علي عبد اللطيف الذي انتقل بها الى الخرطوم حيث اشتهرت واتسع نشاطها • اما علي عبد اللطيف نفسه فلم يذكر في محاكمته سوى ان الجمعيه لم تكن موجوده قبل عام ١٩٢٢م، وانه لما حوكم في ذلك العام اتجهت الانظار اليه ولم يكن يعرف عنها شيئا مطلقا •[١٣٤]

وقد ربطت المخابرات السودانيه ربطا وثيقا بين زيارة حافظ بك رمضان، رئيس الحزب الوطني، الى السودان في أواخر ١٩٢٣م، واوائل عام ١٩٢٤م، وتأسيس الجمعيه[١٣٥] • وذكرت ان جمعية اللواء الابيض التي شكلت قبل عدة سنوات، كانت

مغموره ولم تكن لها اهمية تذكر الا بعد ان حرك نشاطها حافظ وهبه واحتضنها وانعشها بعض الضباط والموظفين المصريين المقيمين فى الخرطوم بتقديم الدعم المادى والمعنوى لاعضائها .

وقد أكد الدرديرى محمد عثمان فى مذكراته أن حركة جمعية اللواء الابيض كانت أساسا من صنع المصريين "هم الذين ألقوا بالفكرة فى أذهان السودانيين فعمل السودانيون على تكوينها ، والمصريون هم الذين هيأوا لها الجو وهم الذين عضدوها بنفوذهم ومساعيهم ودعاياتهم وأساليبهم فى التنظيم والتكتيك والتدبير . (١٣٦) وأضاف الى ذلك قوله أن السودانيين الذين كانوا يهدفون لمصلحة السودان دون غيرها ، عملوا على تحويل تلك الجمعيه لتحقيق مصلحة السودان، وتعاونوا مع المصريين لتحقيق المصلحة المشتركة ألا وهى اخراج الانجليز من وادى النيل .

وقد كشفت اقوال واجابات أعضاء جمعية اللواء الابيض فى محاكماتهم المشهوره ورواياتهم الشفوية المدونه، عن ضعف التنظيم والتخطيط لنشاط الجمعيه، وغياب الفكر والنضج السياسي . كما كانت هنالك غفله واضحه عند قيادة الجمعيه وعلى رأسهم على عبد اللطيف نفسه "الذى ماكان يحذر الملتفين حوله"، مما اتاح الفرصه للعملاء والجواسيس من أمثال على

احمد صالح ودجاجي الذى كان سيء السمعه وعرف بالغش والاحتيال وعدم الامانة، (١٣٧) للتغلغل فى صفوف الجمعيه ورفع التقارير عن نشاطاتها واخبار وتحركات اعضائها لمصلحة المخابرات السودانيه. كما تمكنت المخابرات من دس عملاء آخرين لها فى اوساط الجمعيه فى العاصمه والاقاليم فكشفوا بذلك كل نشاطات الجمعيه وتحركات اعضائها .

هذا بالاضافة الى ان عدد لايستهان به من اعضاء الجمعيه النشطين مثل موسى احمد لاظ وغيره، قد آثروا بعد القبض عليهم وزجهم فى السجون، ان ينجوا بأنفسهم فأصبحوا شهود ملك وكشفوا عن نشاط الجمعيه واوقعوا بقادتها وساعدوا بذلك السلطات البريطانيه فى السودان على تتبع وشل نشاط الجمعيه والقضاء عليها نهائيا .

ويتضح لنا من كل هذا ان الذى حدث فى السودان فى عام ١٩٢٤م، لايمكن ان نطلق عليه ثوره بالمعنى العلمى الدقيق للمصطلح .

اذن ماذا يمكن ان نطلق عليه ؟

هل يمكن ان نطلق عليه انقلاب ؟

ان الانقلاب يعنى، كما عرفناه سابقا، القيام بعمل

عسكرى مفاجىء مخطط ومدروس من قبل مجموعه او فئه من الجيش ضد السلطه التشريعيه بهدف قلب نظام الحكم واحلال سلطة جديده محله •

وكثيرا مايتذرع الانقلابيون بعجز الساسه المدنيين او فساد حكمهم، لتنفيذ مخططاتهم واسقاط الحكومه القائمه لتحل محلها الحكومه التى يفرضونها ، عسكريه كانت ام مدنيه • والانقلاب على غير الثوره، لايؤدى الى تغيير جذرى فى الاوضاع وانما يقود فقط الى تغيير او بالاصح قلب نظام الحكم •

وبالرغم من ان الاورطه الحاديه عشره السودانيه وغيرها من الحاميات فى الاقاليم قد شاركت فى احداث ١٩٢٤م بالقيام باعمال عسكريه متفاوته ، الا انها لم تفعل ذلك بهدف تغيير نظام الحكم بل لم تكن تفكر او تخطط لذلك •

وعليه لايمكن ان نعتبر ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ م انقلابا لانه لم يؤد الى تغيير او قلب نظام الحكم •

اذن مالذى حدث فى السودان آنذاك ؟

وهل يمكن ان نطلق عليه انتفاضه ؟

سابعـــــــا :ـ

ان الانتفاضه، على غير الثوره التى يخطط لهـــا وبجهود ، تحدث فى شكل هبه شعبيه مسلحه او غير مسلحه تتفجـــــر بصوره تلقائيه عندما تبلغ الصراعات والتناقضات السياسيـــــه والاقتصاديه والاجتماعيه والفكريه ذروتها فـى بلد ما ، وتصـــل نقطـة " الغليان" ويصبح من المستحيل الاستمرار فى ظـل تلــك الظروف القائمه ، (١٣٩) ولا يمكن التنبوء بموعدها وماهيتها ، كمـا لايمكن تفاديهـا ٠

وكثيرا مايتسبب حادث صغير او عارض فى انتفاضة الجماهير ضد سلطة الطبقه او الفئه الحاكمه أو ضـد المستعمر ٠ وبالرغم من تلقائيـة وعشوائية الانتفاضة وعدم التخطيط المسبق لـها ، الا ان الجماهير سرعان ماتنظم نفسها فى شكل لجان او هيئات او تجمعات ثوريه للدفاع عن إنجازات الانتفاضه التى تعبر عن آمال وتطلعـــات الامـــه، وقد شهد تاريخ السودان المعاصر ، كما ذكرنا من قبـل ، اشكالا متنوعه من الانتفاضات الشعبيه مثل انتفاضة اكتوبر ١٩٦٤ م وانتفاضـة ابريل ١٩٨٥م ٠

ومما يلفت النظر ويسترعى الانتباه ان ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م، كان قاصرا فى مجملـه على جمعيات وفئات محدوده فى المجتمع السودانى متمثله فى صغار الموظفين وبعض المثقفيــن

والضباط والجنود ، ولم يستقطب التأييد الجماهيرى اللازم لانجاح الانتفاضه اذ ان التناقضات والمعاناة بين صفوف وفئات الشعب المختلفه لم تبلغ ذروتها آنذاك ، ولم تصل نقطة الغليان والانفجار ٠

ويظهر لنا ذلك بوضوح فى قبول رواد الحركه الوطنيه للاوضاع السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه السائده فى السودان آنذاك وعدم سعيهم لتغييرها ، وفى قلة عدد الاعضاء المنتمين للجمعيات السياسيه ، وفى ضعف إتصالهم بالجماهير وقلة تأثيرهم عليها ٠

وعليه يصعب القول بأن ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤ يصل إلى مرتبة الانتفاضة الشعبية ٠

فاذا كان الامر كذلك هل يمكن ان نعتبر ماحدث فى السودان آنذاك تمردا ؟

ثامنا :-

ان التمرد يعنى ، كما اوضحنا سابقا ، الدعوه والعمل باساليب غير مشروعه لتغيير نظام الحكم او قلب الحكومه القائمه بقوة السلاح ٠ وهو يحمل بذلك معنى الرفض والعصيان ٠ وقد يهدف التمرد أحيانا الى زعزعة الامن والاستقرار ٠ وحددت القوانين الجزائية فى كل دولة من دول العالم عقوبات صارمه على المتمردين تصل الى السجن المؤبد والحكم بالاعدام ٠ (١٤٠)

واذا تتبعنا ماحدث فـــى السودان فى عام ١٩٢٤م، نجـد انه يحمل فى طياته عناصر التمرد على الاوضاع والسلطه فى اكثـر من موضع • فالتحركات التى قامت بها الفرق والحاميات السودانيه فى الخرطوم وأمدرمان وتلودى وملكال تعنى التعاطف والتضامـــن مع القوات المصريـه بالسودان والاستعداد لشق عصا الطاعه والخروج على السلطات البريطانيه فى السودان كما تحمل مظاهرة واضــراب طلبة المدرسـة الحربيـة فى الخرطوم نفس المدلولات •

اما تحرك ضباط وجنود الفرقه الحاديه عشره السودانيـــه بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤م فبالرغم من انه يحمل مدلولات اكبـــر الا انه لايخرج عن دائرة التمرد • وبالرغم من ان فيـه رفضـــا قاطعا للاوضاع آنـذاك، وخروجا مسلحا على السلطة، الا انـــه لم يكن يهدف الى احداث تغيير فى الاوضــاع • وكان هدف الضباط والجنود المعنيين هو اللحاق والانضمام للقوات المصريه بالخرطـوم بحرى، والتضامن معها بقصد الحيلوله دون مغادرتها السـودان او الرحيل معها • وقد دخلت القوه السودانيه فى صراع مسلح مـــع القوات البريطانيه فى السودان لتحقيق تلك الغايه • ويتضـح لنـا من تفرق الاحداث وعدم انتشارها، والسهولة التى تمكنت بهـــا السلطات البريطانيه من السيطره عليها ان روح التمرد لم تكـــن سائده بل كانت قاصره على قلة من الضباط والجنود السودانييـــن الذين تضافرت وتجمعت فى داخلهم عدة عوامل شخصيه واجتماعيـــه

ووطنيـــه دفعتهم الى التمرد والخروج على السلطـــه •

وعليـــه يمكننا القـول بأن ماحدث فى السودان فـى عـام ١٩٢٤، كان، في بعض جوانبه، تمردا الا انه لم يكن قاصرا على ذلك فقـــط بل شمل نشاطات واحداثا سياسيــه اخـرى •

ولكن هل يمكن ان نعتبر ماحدث فى السودان آنذاك مجـــــرد أحـــــــــداث ؟

تاسعــــــــــا :-

ان الاحداث هى عباره عن سلسلة او مجموعة الوقائع التـــــى تحدث فى سياق الزمن متفرقـه كانت او متصلـه، وتكتسب اهميــــه معينـه، وتلعب دورا هاما فى تطورات الاوضاع الراهنـه، لاسيمـــــا فى النواحـى السياسيـه والتاريخيـه •

فاذا تتبعنا ماحدث فى السودان فى عام ١٩٢٤م، نجـد انــــه جاء فى شكل احداث متفرقـه ومتصله فى آن واحد، اذ انهـا حصلـــت فى انحاء متفرقه فى السودان، الا انها كانت مرتبطه ومتصله بصـوره او اخرى بما يجرى من أحداث وتطورات سياسيه فى مصر والســـودان آنذاك، وموجهة ضد السياسه البريطانيه والوجود البريطانى فــــى الســـودان •

وعليه يمكن ان نطلق على ماحدث فى السودان عام ١٩٢٤م، مصطلح احداث او حوادث، كما فعل المؤرخ محمد عبد الرحيم (١٤١)

الا ان هذا المصطلح يظل قاصرا ، كما هو الحال بالنسبة للتمرد ، عن التعريف العلمى الدقيق لما حدث فى السودان آنذاك ، اذ ان الذى حدث كان اشمل وله مدلولات وابعاد اكبر من مجرد حوادث .

اذن مالذى حدث ؟ وهل يمكن ان نطلق عليه حركه ؟

عاشـــــــرا :-

الحركه معناها ، كما اوضحنا سابقا ، التيار العام الذى يدفع طبقه او فئه اجتماعيه معينه لتنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد ومحدد لتحسين اوضاعها الاقتصاديه او الاجتماعيه او السياسيه او لتحسينها جميعا .

والحركة عموما ضد الركود وهى تعبر عن نشاط العناصر داخل الكل ، او نشاط الكل كوحده لتحقيق النمو او الكمال . وقد تكون الحركه منظمه تنظيما دقيقا او غير منظمه بتلك الصوره . كما قد تكون اهدافها محدده وواضحه او مبهمه ، وقد يكون لها برنامج مخطط ومرسوم او تسير حسب الظروف والملابسات . وغالبا ماتهدف الحركه لتغيير بعض النظم القائمه او الاطاحة بها بغية ارساء نظم جديدة .(١٤٢)

ولهذا فالحركة اكثر شمولا وفى الوقت نفسه اقل تماسكا وانضباطا من الحزب ، اذ يمكن ان تكون نقابة او جمعيه او اتحادا او تجمعا او تحالفا او جماعة صفوة او تيارا سياسيا او اجتماعيا

او اقتصاديا او فكريا ، او حتى حزبا سياسيا ٠

ومن هذا المنطلق العام، والتعريف العلمي للمصطلحات السياسيه يمكن ان نعرف ماحدث في السودان عام ١٩٢٤م بأنه حركه وطنيه عملت لتحرير السودان ومصر من الاستعمار البريطاني وتحقيق وحدة وادى النيل ٠ وهى بهذا تعتبر جزءا لا يتجزأ ولايميز عن الحركات الوطنيه الاخرى السابقه لها واللاحقه بها مثل الحركة المهدية ومؤتمر الخريجين والتي ساهمت جميعها ، وبدرجات متفاوته ، في تحقيق وحدة السودان وحريته واستقلاله ٠

الهوامـــــش

(١) الكيالى، عبد الوهاب، موسوعة السياسـه، (المؤ سســـــه العربيـه للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥)، الجزء الاول، ص ٨٧٠ ٠

(٢) موسوعة الهلال الاشتراكية، (دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ١٦٧ ٠

(٣) مدكور، ابراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، (الهيئه المصريـه العامه للكتاب، ١٩٧٥ م)، ص ٢٠٥ ٠

(٤) المصـــدر نفســـه ٠

(٥) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، (الهيئه المصريـه العامــه للكتاب، ١٩٧٩م)، ص ٣٨٧ ٠

(٦) موسوعـة السياسة، المصدر السابق، ص ٨٧٢ ٠

(٧) المصـــدر نفســـه ٠

(٨) المصـــدر نفســـه ٠

(٩) قاموس علم الاجتماع، المصدر السابق، ص ٢٨٨ ٠

(١٠) موسوعة السياســه، المصدر السابق، ص ٨٧٠ ٠

(١١) المصـــدر نفســـه، ص ٨٧٧ ٠

(١٢) المصـــدر نفســـه ٠

(١٣) المصـــدر نفســـه، ص ٣٧٢ ٠

(١٤) المصـــدر نفســـه، ص ٣٧٣ ٠

(١٥) المصـــدر نفســـه ٠

(١٦) المصـــدر نفســـه، ٣٤٦ ٠

(١٧) معجم العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص ١٨١ ٠

(١٨) موسوعـــة السياســـه، المصدر السابق، ص ٧٨٥ ٠

(١٩) المصدر نفســه، ص ٨٥ ٠

(٢٠) موسوعة الهلال الاشتراكية، المصدر السابق، ص ١٨٩ ٠

(٢١) موسوعـــة السياســة، المصدر السابق، ص ٢٢٢ ٠

(٢٢) معجم العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص ٢٢٧ ٠

(٢٣) المصـــدر نفســـه ٠

(٢٤) المصـــدر نفســـه ٠

(٢٥) موسوعة الهلال الاشتراكيـه، المصدر السابق، ص ١٨٩ ٠

(٢٦) المصـــدر نفســـه، ص ١٩٠ ٠

(٢٧) موسوعة السياســـه، المصدر السابق، ص ٢٢٠ ٠

(٢٨) الرافعي، عبد الرحمن، في اعقاب الثوره المصريه، ثورة ١٩١٩م، (دار الشعب، ١٩٦٩) الجزء الاول، ص ١٢٩ ٠

(٢٩) صالح محجوب محمد ، الصحافة السودانيه في نصف قرن، (دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم، الجزء الا ول، الطبعة الاولى، ١٩٧١ م)، ص ٩٧ ٠

(٣٠) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركه الوطنيه في السودان ، (١٩٠٠ ـ ١٩٦٩) ، ترجمة هنرى رياض وآخرين، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٠م، ص ٩٧ ٠

(٣١) Daly, M. W. British Administration and the Northern Sudan,1914-1924, T.E. Istan-Bul, 1980, P. 110.

(٣٢) بشير ، المرجع السابق، ص ٩٦ ٠

(٣٣) الريح ، مبارك بابكر ، "ثورة ١٩٢٤ م السودانيه" رسالة المركز الثقافيه ، (المركز الثقافى العربى ا م درمان، (بدون تاريخ)، ص ٦٠ ٠

(٣٤) الرافعى، المصدر السابق، ص ١٢٩ ٠

(٣٥) بشير ، المرجع السابق، ص ٩٨ ، وعبد الرحيم، محمد ، الصراع المسلح على الوحده في السودان او الحقيقه عن حوادث ١٩٢٤م، (مطبعة كلوت بك، عطف الوطن، بدون تاريخ)، ص ٨ ٠

(٣٦) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٩ ٠

(٣٧) الرافعى، المصدر السابق، ص ١٢٩ ٠

(٣٨) كشه، سليمان، اللواء الابيض، (الخرطوم، ١٩٦٩م)، الطبعه

الثانيه ، ص ٥ ونجيله ، حسن ، ملامح من المجتمع السودانى ،
(بيروت ، ١٩٦٤) الطبعه الثالثه ، ص ٣٨٠ ٠

(٣٩) صالح ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ٠

(٤٠) Sudan Intelligence Reports, intel, 6/8/26-335, June, 1922.

(٤١) الرافعى ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ٠

(٤٢) Intel., 6/8/26 - 358 - June, 1924.

(٤٣) Daly, Ibid., p. 113.

(٤٤) Intel., 6/8 - 28 - 335, June, 1924.

(٤٥) بشير ، نفس المرجع ، ص ٩٩ ٠

(٤٦) كشه ، المصدر السابق ، ص ٦ ٠

(٤٧) نفس المصدر ٠

(٤٨) نفس المصدر ٠

(٤٩) الريح ، المرجع السابق ، ص ٦٣ ٠

(٥٠) ورد فى مذكرات الدرديرى محمد عثمان ، الذى كان عضوا بالجمعيه ، ان صيغة القسم كانت كما يلى : "اقسم بالله العظيم انى بعد سماع ماتقولون لا أبوح بسره حتى الموت عملت به او لم اعمل" (عثمان الدرديرى محمد ، مذكراتى ، مطبعة التمدن ، الخرطوم ١٩٦١ م ، ص ٥١ ٠

(٥١) الريـــح، المرجع السابق، ص ٦٣ ٠

(٥٢) Intel., 6/8/28 - 360, July, 1924.

(٥٣) الريح، المرجع الســابق، ص ٦٣ ٠

(٥٤) Intel, 6/8/28 - 358, May, 1924.

(٥٥) انظر ، جمعية الاتحاد السوداني، ص ٨ ٠

(٥٦) بشير ، المرجع السابق، ص ١٠٠ ٠

(٥٧) يفســر البعض اللون الابيض بأنه رمز السلام، وخريطــة وادى النيل بأنـها رمز لوحدة وادى النيل ، والهلال الصغير بأنــه علــم مصـــر ٠

(٥٨) كشـه، المصدر السـابق، ص ٦ ٠

(٥٩) الرافعى، المصدر السابق، ص ١٢٩ ٠

(٦٠) كشــه، المصدر السابق، ص ٧ ٠

(٦١) نفـــس المصـــدر ٠

(٦٢) رمضان، عبد العظيم، تطور الحركه الوطنيـه فـــى مصـر (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، الطبعه الثانيه ١٩٨٣ ، ص ٤٤٠ ٠

(٦٣) كشــه، المصدر السابق، ص ص ١٦ ـ ٢٥ ٠

(٦٤) نفــس المصــدر ، ص ٨ ٠

(٦٥) الرافعــى، المصدر السابق، ص ١٣٤ ٠

(٦٦) نفـس المصدر ، وكشــه، المصدر السابق، ص ١١ ٠

(٦٧) نفس المصدر ، ص ١٣٥ ٠

(٦٨) كشه ، المصدر السابق، ص ٨ ٠

(٦٩) الرافعي، المصدر السابق، ص ١٣٦ ٠

(٧٠) نفس المصدر ، والريح، المرجع السابق، ص ٧٣ ٠

(٧١) بشير، المرجع السابق، ص ١٠٦ ٠

(٧٢) الريح ، المرجع السابق، ص ٧٥ ٠

(٧٣) كشه ، المصدر السابق، ص ٢٠ ٠

(٧٤) الريح ، المرجع السابق، ص ٧٧ ٠

(٧٥) بشير ، نفس المرجع، ص ١٠٦ ٠

(٧٦) نفس المرجع، ص ١٠٧ ٠

(٧٧) نفس المرجع ٠

(٧٨) محضر مجلس الوزراء المصرى، مذكره عن اوضاع السودان، رئاسة مجلس الوزراء ، ٣ ب السودان، حوادث واضطرابات ١٩٢٤ ، ملف ٧ ٠

(٧٩) محاكمة طلبة المدرسة الحربية ، الكتاب الثالث (ملحق) مركز التوثيق، معهد الدراسات الافريقيه والآسيويه ، جامعة الخرطوم ، ١٧٥، ص ٤ ٠

(٨٠) بشير ، المرجع السابق، ص ١٠٩ ٠

(٨١) تلغراف رقم ٨٤٧ ٠ من نائب السردار بالخرطوم الى مساعد الجنرال العام بالقاهره ، ١١ اغسطس ١٩٢٤م، رئاسة مجلس الوزراء القاهره ، ٣ ب ، السودانى حوادث واضطرابات ١٩٢٤م ، ملف ٧ ٠

(٨٢) تلغراف رقم ٨٤٧ ، المصدر السابق •

(٨٤) الريـح ، المرجع السابـق ، ص ٨٠ •

(٨٥) الروايات الشفويه لثوار ١٩٢٤م ، الكتاب الثانى (الجزء الثانى) مركز التوثيق ، معهد الدراسات الافريقيه والاسيويه ، جامعة الخرطوم ، ابريل ١٩٧٤م ، ص ٤٩ •

(٨٦) تلغراف رقم ٦٩٦ بتاريخ ١٠ اغسطس ١٩٢٤م ، من رئيس الاركان بالخرطوم ، الى مساعد الجنرال بالقاهره ، رئاسة مجلس الوزراء ، المصدر السابق ، ملف ٧ •

(٨٧) الرافعى ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ •

(٨٨) Intel. 6/8/28 - 360 August, 1924.

(٨٩) مذكره لمجلس الوزراء المصرى حول أوضاع السودان ، ٣ ب ، المصدر السابق ، ملف ٨ ص ١٧ •

(٩٠) الرافعى ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ •

(٩١) عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص ٣٠ •

(٩٢) زروق ، خديجه ، موسوعة شخصيات ثورة ١٩٢٤م ، دار الوثائق المركزيه ، الخرطوم ، بدون تاريخ ، ص ٤ •

(٩٣) نفس المرجع •

(٩٤) نفس المرجع •

(٩٥) Tel. No. 358, from Alenby J. Austin Chambelain, F.O. 371 - 10022 - 734.

(٩٦) رمضان ، المرجع السابق ، ص ٤٤٧ •

(٩٧) ذكر الرافعي ان الكاتب الفرنسي "موريس بونو" قد اورد في كتابه " قلق الشرق او على طريق الهند " الذي صدر في منتصف عام ١٩٢٧م، انه قابل اللورد آلنبي المندوب السامي البريطاني في مصر بعد مقتل السردار وتقديم البلاغات البريطانيه فسأله عن وجهة نظره، فأجابه في صراحة الجندي الذي يصرح بما يوءمر :-

" ان كل ماحدث كان متوقعا ، وقد كان البلاغ النهائي في درج مكتبي قبل ان يقتل السردار بوقت طويل، ولكني فقط غيرت صيغته التي جعلتها اكثر شده (الرافعي، المصدر السابق، ص ١٥٣) ٠

(٩٨) الرافعي، نفس المصدر ، ص ١٥٩ ٠

(٩٩) نفس المصدر ، ص ١٦٠ ٠

(١٠٠) نفس المصدر ٠

(١٠١) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٥٥ ٠

(١٠٢) بشير ، المرجع السابق، ص ١١٣ ٠

(١٠٣) نفس المرجع ٠

(١٠٤) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٨٣ ٠

(١٠٥) الرافعي، المصدر السابق، ص ١٦٠ ٠

(١٠٦) نفس المصدر ٠

(١٠٧) بشير ، المرجع السابق، ص ١١٤ ٠

(١٠٨) كشـــه ، المصدر السابق، ص ٦٤ ٠

(١٠٩) نفـــس المصـــدر ٠

(١١٠) بشيـــر ، المرجع السابـــق، ص ١١٦ ٠

(١١١) الرافعي، المصدر السابق، ص ١٦١ ٠

(١١٢) رفض عدد من الضباط السودانيين المتمسكين بوحدة وادى النيل أن يؤدوا يمين الولاء لحاكم السودان العام، وذهبوا لمصـــر وانتظم بعضهم في سلك الحكومه المصريه واصبحوا من كبـــار الضباط في الجيش المصـــرى ٠ (الرافعي، المصدر السابـــق، ص ١٦٣)

(١١٣) انظـــر تعريـف ثـورة، ص ١ ٠

(١١٤) Intel., 6/8/28 - 361. Sept. 1924.

(١١٥) كشـــه ، المصدر السابق، ص ٤٦ ٠

(١١٦) نفس المصدر ، ص ٤٧ ٠

(١١٧) نفـــس المصـــدر ٠

(١١٨) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٨٤ ٠

(١١٩) انظـــر تعريف ثوره ص ١ ٠

(١٢٠) انظـــر ص ....

(١٢١) بشيـــر ، المرجع السابق، ص ١٢٠ ٠

(١٢٢) نفـــس المرجـــع ٠

(١٢٣) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٠٢ ٠

(١٢٤) رمضـــان، المرجع السابـق، ص ٤٨٥ ٠

(١٢٥) نفــس المرجـــع، ص ٤٨٦ ٠

(١٢٦) نفــس المرجـــع ٠

(١٢٧) عبـد الرحيم، المصدر السابق، ص ٥٦ ٠

(١٢٨) كشـــه ، المصـدر السابـق، ص ٤٧ ٠

(١٢٩) Daly, Ibid, p. 132.

(١٣٠) مقال حسين شريف، حضارة السودان، السبت ٧ أغسطس ١٩٢٠م

(صالح، المرجع السابق، ص ٧٦) ٠

(١٣١) عبـد الرحيم، المصدر السابق، ص ٣٠ ٠

(١٣٢) كشـه ، المصدر السابق، ص ٤٦ ٠

(١٣٣) Intel., 6/8/26 - 340, Nov. 1924.

(١٣٤) كشـه ، المصدر السابق، ص ٤٦ ٠

(١٣٥) Intel., 6/8/28 - 358. May, 1924.

(١٣٦) عثمان، المصدر السابق، ص ٥٠ ٠

(١٣٧) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٠ ٠

(١٣٨) بشيـر ، المصدر السابق، ص (١٢٠ ـ ١٢١)

(١٣٩) انظـر تعريف انتفاضـه، ص ٥ ٠

(١٤٠) انظـــر تعريف تمرد ص ـ ٥ ٠

(١٤١) جاء ذلك فى عنوان كتابه : الصراع المسلح على الوحده فـى السودان او الحقيقه عن حوادث ١٩٢٤ م٠

(١٤٢) انظر تعريف انتفاضـــه ص ٥ ٠

الجذور الفكريه لثورة ١٩٢٤ م

د ٠ عبد الرحمن الخانجي

لقد جانب الصواب مقولة كتشنر بأن المهدية قد أصبحت عقب موت الخليفة عبد الله التعايشي - "أثرا بعد عين" ٠ اذ ظلت الثورات يتلاحق اوارها ضد الحكم الجديد ، وظلت أنفاس التمرد تلفح الوجوه فى مختلف بقاع السودان ٠

ومع ان هذه الجيوب الثورية العارمة كانت تفتقد التنظيم والاعداد لتؤتى اكلها ، فقد باتت الادارة البريطانية مسهدة العين تحت قلق الاقتناع بأن النبى "عيسى" على وشك الظهور ليملأ الارض - فى السودان - عدلا بعد ان ملئت جورا ، وأن ظهوره سيعقبه بزوغ حكم اسلامى لا نهاية له ٠[(١)]

انداحت هذه الثورات لتغطى السودان من أقصاه الى أقصاه ، فشملت وسطه وشرقه وغربه وجنوبه وشماله : تارة فى كردفان وجبال النوبة وأخرى فى سنار والحلاوين ، وثالثة فى بربر ٠٠٠ ويظل على دينار شجى فى حلق الحكم البريطانى حتى اخضع سنة ١٩١٦ م ٠ وتبقى حركة عبد القادر ود حبوبة (١٩٠٨م) أخطر هذه الحركات وأبعدها اثرا ٠[(٢)]

هذه الحركات جميعها كانت تصدر عن دافعين يحركانها :

أولهما : أن الذين دفعوا أرواحهم وممتلكاتهم من قبل فداء

للمهدية ، ماتزال فى نفوسهم بقايا من جذوة المهدية مشتعلة رغم سقوطها دولة وحكما وهؤلاء حركهم الولاء الدينى العقدى الذى أثمر أخطر الثورات وأشدها عنفا لما كان يلجأ اليه من حمل السلاح ٠ (ثورة ود حبوبة خير مثال) ٠

وثانيهما : أولئك الذين اعتقدوا فى فكرة المسيح "عيسى" عقب وفاة المهدى ، وهؤلاء كانت ثوراتهم اخف حدة واكثر مسالمة ، ولاتخلو فى حقيقتها من أطماع شخصية دنيوية ٠

وهكذا ظلت نيران الثورة حية فى النفوس حتى انفجر ما كان كامنا تحت الرماد فى ثورة ١٩٢٤م ٠ وتبقى كل هذه الحركات الثورية ذات إرتباط وثيق بجذور ١٩٢٤م ٠

لانعدو الصدق ان قررنا ان الحركات التى سبقت ١٩٢٤م كانت دينية فى المقام الاول : سواء صدرت حقا عن قناعة دينية أم اتخذت الدين ستارا لغاياتها ٠ سواء أكان هذا ام ذاك فان ١٩٢٤م تختلف اختلافا مميزا عن تلك الحركات ، فى منهج عملها أو فى المناطق التى استقطبت العمل فيها ٠ وبالنظر الى هذا التمايز يمكن ان نمسك بخيط يضرب فى الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م ٠ ولعل اهم السمات الفكرية المحددة لاطار ١٩٢٤م يمكن أن تخلص الى أن الحركات السابقة على ١٩٢٤م قد اتخذت من مناطق البداوة مسرحا لاحداثها ، اما ١٩٢٤م قد ركزت على المدن الكبرى ، فاختلفت عقلية القيادة بها عن تلك الحركات

الاولى للتى تولى زمام أمرها الزراع والرعاة • فحركة ١٩٢٤م امسك بقيادها الطبقة الناشئة فى المجتمع من صغار الموظفين والعمال والجنود •

وارجح أن تولى قيادة هذه الطبقة الجديدة لحركة ١٩٢٤م، انما يرجع الى متغيرات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية نزلت بالمجتمع عقب الفتح الانجليزى المصرى وفراغ الساحة من أى فكر بعد اندثار الفكر الدينى المتمثل فى الفكر المهدى • وهذه المتغيرات أدت الى مايمكن أن نسميه بنمو (الروح القومى) فى المدن، وهو أمر يرجع الى عوامل متعددة من أهمها :ـ

(١) انتشار قدر من التعليم المدنى مقارنا بقدر التعليم الذى كان سائدا فى الفترة السابقة • وقد لعب الأزهر الشريف دورا مقدرا فى تفتح عقول السودانيين ممن درسوا به وعادوا الى السودان، رغما عن تحرز الادارة البريطانية فى اتاحة هذا اللون من التعليم •

(٢) اتسعت دائرة اتصال السودانيين بالمصريين، خاصة اولئك الذين قدموا الى السودان موظفين وعمالا وجنودا ومهاجرين يبحثون عن الرزق • فكان لهذه المجموعة من المصريين العاملين بالسودان أثرا فى الرأى العام السودانى • ولايخفى

ان قـرب الروابط بين طبقة هؤلاء الذين نالوا حظا من التعليم كان يزيد من تماسكها مايجمع بينهم من قربى اللغة ونسب الدين • فعمل المصريون والسودانيون المتعلمون فى مراكز عمل واحدة ووحدات عسكرية واحدة فازدادت الآراء التى كانت لها قيمة بين الطبقة الوسطى التى تأثرت بالتعليم الغربى •

(٢) ازداد استنفار الرأى السودانى حدة واستفزازًا مع تزايد المشروعات البريطانية فى السودان (خاصة مشروع الجزيرة) وكان لفكرة استغلال الحكومة لارض أهل الجزيرة صدى واسع فى نفوس السودانيين بأن هذه الحكومة إنما ترمى الى نهبهم فى رابعة النهار •[٣]

- ٣ -

فى البحث عن جذور ١٩٢٤م الفكرية لابد من الاشارة الى الرابطة السياسية التى كانت سائدة بين المصريين العاملين فى السودان وبين المتعلمين السودانيين، ورغم ذلك تبقى ثورة ١٩١٩م فى مصر ذات أثر مباشر فى بلورة جذور حركة ١٩٢٤م بالسودان •

وقد صدق تقرير المخابرات البريطانية عندما قال عن الاحداث الجارية بمصر منذ يولية ١٩١٩م واهتمام السودانيين بها (خاصة الطلبة وصغار الموظفين) ان "هذا أمر يجب الاحتياط له".

فقد كانت أخبار الثورة المصرية تصل الى السودان عن طريق الصحف المصرية ، وظل الشباب السودانى يعرف أخبار الكفاح المصرى وأسماء قادته . وظلت الادارة البريطانية تتوجس شرا من هذه المعرفة فشددت الحصار على المصريين العاملين بالسودان . وقيدت اتصالاتهم بالسودانيين . واستخدمت العنف فى قمع المظاهرات التى قام بها المصريون بالسودان فى عطبرة وبورسودان تأييدا للحركة الوطنية فى مصر .[٤]

وقد امسك السودانيون بزمام المبادرة عندما قام ضابط سودانى فى الجيش المصرى هو (محمد أمين هديب) فى ١٩١٩/٥/٣٠م بالقاء خطبة فى جامع امدرمان - مستغلا إحدى المناسبات الدينية - ودعا فى هذه الخطبة السودانيين للانضمام للمصريين وطرد الانجليز والقى قصيدتين وطنيتين فى هذه المناسبة .

وان كانت السلطات البريطانية قد اعتقلت الضابط الشاب وحكمت عليه بثلاث سنوات سجنا ، فقد ادركت أن حسا جديدا قد نبع فى السودان، مضمونه أن (مصر والسودان بلد واحد) هكذا كان "صغار الافندية " يهتفون فى ابريل ١٩٢١ م مظهرين سخطهم الوطنى ومستغلين مهاجمة مشروع وضعته الحكومة لتقويم الموظفين .

تبقى المقالات التى كتبها حسين شريف فى جريدة الحضارة معلما هاما من معالم الفكر السياسى لجذور الحركة الوطنية السودانية • فقد عارض حسين شريف الحركة فى دعوتها بأن استقلال السودان تابع لاستقلال مصر • وأهم من ذلك أنه رفع شعار "السودان للسودانيين" مع الدعوة لانهاء الحكم المصرى فى السودان واستمرار الوصاية البريطانية عليه •

هذه الدعوة قد حركت قوة الدفع لثورة ١٩٢٤م، فقد وجدت الدعوة معارضة من الفئة الجديدة (المثقفين الجدد)، خريجى كلية غردون الذين نالوا قدرا من التعليم المدنى، وكانت دعوتهم لاتتطلع الى مركز قبلى أو وجاهة دينية أو ارستقراطية أسرية • هو لاء فى معظمهم من "من أبناء السودانيين الذين خالطت دماوءهم الدماء الزنجية"(٥)

وان كان حسين شريف قد أهاب بالبريطانيين العمل على وقف التدخل المصرى فى السودان، فقد أرسل أحد الموالين لمصر منشروا غفلا من التوقيع، غطى به مساحات شاسعة من مدن السودان ومناطقه المختلفة • هذا المنشور حذر وأنذر من سياسة بريطانيا (فرِّق تسُد) ونادى باتحاد الامة السودانية والمصرية لينالا استقلالهما ، ووصف جريدة الحضارة بأنها بوق

استعمـــارى ·[٦]

أهميــة هــذا المنشور فى تأريخـه للجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م أنه أظهـــر رأى ومشاعر العناصر المو يدة لمصر وســـط المتعلمين، كما طرح ـولا ول مرة ـ رأى المتعلمين واضحـــــا وحاسما فى الزعامات التقليدية ، الدينية والقبليـــة ·

اذا نظرنا فى المكونات الفكرية والبيئية للا عضــــاء المو٠سسين لجمعية الاتحــاد السودانى (أول حزب سياسى سودانى حديــث) نجدهم جميعا من أصحــاب النزعات الاصلاحية ، وليسوا بالمسلمين التقليديين أو المتعصبين · فهم فـــى معظمهـــم خريجو كليــة غردون، يعملون بالوظائف العامة ، ويهتمــــون بالا دب والنقد والثقافـــة ·[٧]

كان الجهد الا كبر فى عمل هذه الجمعية منصرفا للعمــل الثقافــى والاجتماعى من إخراج المسرحيات واعداد الندوات ··· وان كان العمل السياسى الحقيقى عملا سريا يصدر فى منشــــورات ضد الادارة البريطانية والمتعاونين معها من السودانيين، ثم ضد الزعماء الدينيين التقليديين والعلماء الرسميين ·[٨]

والشق الثانى من العمل السرى كان نشر المقالات والقصائد المعادية للا دارة البريطانية بالصحف المصرية · وقــد وجـــدت

مثل هذه المقالات صدى طيبا ومقبولا عند المصريين .[(٩)] كما يعد اسهام الجمعية فى سفر أعضائها للدراسة بمصر عملا بطوليا رائعا .[(١٠)]

- ٦ -

ان الاسباب المباشرة التى أدت الى تبلور ثورة ١٩٢٤م فى حركة سياسية وعسكرية ، لترتبط إرتباطا وثيقا بالجذور الفكرية للحركة . وتعد من أهم هذه الا سباب - ذات الصلة الوثيقة بالجذور - انتشار المد التعليمى بعامة مما أدى الى ظهور طبقة "المثقفين" بالسودان . (يبقى لكلية غردون، رغم كل شيء ، دورها فى هذا المد التعليمى وظهور طبقة الخريجين .) هذا الا ثر كان وثيق الصلة بالتأثير الثقافى والوطنى لمصر : سواء فى دور الا ساتذة المصريين العاملين بالسودان أو دور الا زهر كقبلة لمريدى الثقافة الدينية من السودانيين، بما وثق من صلاته بمعهد أمدرمان العلمى . وقد توثقت هذه الجذور أكثر بدور الموظفين المصريين (من موظفين وعسكريين) العاملين بالسودان . كل ذلك كان يواكبه مد من الصحف والمجلات والكتب المصرية . ولعل هذا جميعه كان له الا ثر الحاسم فى انشاء ناد خاص بالمثقفين السودانيين بدأت فكرته عام ١٩١٣م واستوى قائما فى أم درمان

١٩١٨م باسم نادى خريجى المدارس • وكان نواة لاندية الخريجين فيما بعد • هذه الاندية هى التى حملت عبء ريادة الحركة الوطنية وتوجيه مسار الركب السياسى • وأمسكت بزمام القيادة من يد الزعماء القبليين والدينيين وجعلت لحركة ١٩٢٤م بعدا شعبيا لايخفى • (١١)

ولايمكن ان نبعد عن جذور ١٩٢٤ ما هب من رياح التغيير خارج السودان • مثل الجو العام الذى تنفس العالم أنفاسه عقب الحرب العالمية الاولى ، وما أحدثته الحرب من تفتح مشاعر الشعوب المغلوبة على نداءات الحرية وتقرير المصير ، وقيام عصبة الامم المتحدة • وان كانت الحرب الاولى من الآثار غير المباشرة ، فان لثورة ١٩١٩م بمصر ومناداة المصريين بالاستقلال أثرا مباشرا لايجحد • أما داخل السودان فقد اثار مشروع الجزيرة مشاعر السودانيين واستفز مشاعرهم بما صحبه من استغلال بشع لاقتصاد السودان، أو هكذا بدا الامر فى نظر المثقفين السودانيين •

كل هذه الروافد ، صبت مردودها فى عامل فقدان الثقة فى القيادات التقليدية والدينية • فهذه القيادات بما عبرت عنه فى "سفر الولاء "، ما عاد لها مكان فى نظر الطبقة المثقفة •

يمكن القول بأن الفترة من (١٩٢٠م - ١٩٢٥م) هى الفترة التى شهدت تبلور أول حزب حديث فى تاريخ السودان، ان صحت تسمية جمعية الاتحاد بالحزب السياسى .

وعلى كل فهوية أعضاء هذه الجمعية ووريثتها اللواء الا بيض يشفان معا عن الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م .

وعلى كل فان طبيعة العمل السرى ضد الاستعمار كانت ترتبط بوجه أو آخر بالسمات الفكرية التى أثمرت بعد ذلك العمل العسكرى والسياسى المعلن فى ثورة ١٩٢٤م .

ولعل أول هذه الا عمال السرية كان المنشور الموجه الى أهل السودان من جمعية الا عمال الملحة : Committee of Urgent Affairs فى عام ١٩١٩م وقد وزع على عدد من زعماء السودان . وهو فى مجمله يحض على الثورة ويطالب بالاستقلال، ويدعو للعمل الموحد مع الحركة الوطنية المصرية لتحقيق هذه الغاية . وفى هذا المنحى ظهرت جمعيات سرية متعددة فى ١٩١٩م : مثل جمعية " اليد السوداء " و " اليد البيضاء " . وأخذت ترسل خطابات الى مختلف الجهات حتى أنها أرسلت لمدير المخابرات . وفى عام ١٩٢١م يشتد النشاط السرى ونجد "جمعية العمل على خلاص البلاد " ترسل منشورات الى مختلف أُنحاء السودان . كما نجد جمعية أخرى هى

"جمعية الدفاع عن الدين فى السودان" .[(١٢)]

ومن أشهر هذه المنشورات ، ذلك المنشور الذى أرسل الى كافة زعماء السودان بتوقيع (أمين ومؤمن) وكان عنوانه " الحقيقة هى الطريق الافضل" .

ومنذ عام ١٩٢٢م ينتقل الامر من العمل السرى الى مرحلة جديدة نورخ لها بمنشور "حقوق الامة السودانية" الذى هاجم الحكومة بسبب سوء سياستها التعليمية كما طالب باصلاحات جذرية أخرى فى السودان . وقد وقع هذا المنشور الملازم أول على عبد اللطيف . وقد عبر المنشور الحدود ونشر بجريدة الاخبار بالقاهرة .[(١٣)] وعند محاكمة على عبد اللطيف أعلن أنه يمثل "جمعية قبائل السودان المتحدة" : Sudan United Tribes Society

ولعل مانشرته جريدة الاهرام القاهرية فى ١٩٢٢/١١/٢٥ م عن "جمعية الدفاع عن السودان" ، ويوم ١١/٢٦ عن "جمعية اتحاد السودان" كان مؤشرا لنهاية العمل السرى والاسفار عن الكفاح المعلن .[(١٤)]

وفى تقديرى أن العمل السرى لم يؤت الاكل التى كانت تأملها الجمعيات المختلفة . ونتيجة لذلك انقسم العمل الى قسمين : جناح متطرف يدعو الى العمل السياسى العلنى ويدعو

للمواجهة . وآخر أكثر اعتدالا ، يرى الاستمرار فى العمل السرى لكسب المزيد من التأييد .

وان كنا قد ربطنا بين الجذور الفكرية لحركة ١٩٢٤م وبين تقسيم العمل الى مرحلتين : مرحلة سرية واخرى علنية، فلابد من الاشارة الى أى مدى تأثرت جمعية اللواء الابيض (جناح المواجهة) بالحركة الوطنية المصرية ؟ ورغم ان دستورها كان ينص على أن تقتصر العضوية على السودانيين الا أن بعض المصريين قبلوا كأعضاء سريين . وعلى كل، فهى لم تكن واجهة لمصر ، ولم تقم بوحى من المصريين .[١٥]

وتبقى قوة اللواء الا بيض ممثلة فى (صفوف ضباط الجيش حيث حظى على عبد اللطيف بالاحترام، كما تمثلت فى صفوف الكتبة الذين أعجبوا بعبيد حاج الامين" .[١٦]

ولعل فى التعليق الذى ورد فى تقرير ايورات على المقال الذى حوكم على عبد اللطيف من أجله ، مايوضح بجلاء موقف المصريين من اللواء الا بيض- فقد جاء فى التقرير : "أن المقال الذى أدين لكتابته (على عبد اللطيف) لم ترد به كلمة واحدة لصالح مصر ، بل ذهب الى الدعوة لقيام حكومة للسودان بواسطة السودانيين وانهاء الحكم الاجنبى ... ومهما يكن من أمر فان

معظم محتويات المقال كانت تعبيرا عن مشاعر كانت ومازالت هي المشاعر التي يفيض بها وجدان أبناء الجيل الجديد المتعلم بل حتى كبار الموظفين ٠ "[(١٧)]

لعل جمعية اللواء الابيض كانت تأمل أن تؤدي للسودان ما أدته ثورة ١٩١٩م لمصر ، فقد اتصل عبيد حاج الامين ١٩٢٣م ببعض اعضاء الجناح الثوري في جمعية الاتحاد وسعوا جميعا لتأسيس اللواء الابيض ٠ وقد كانت أغراض " اللواء " بنص دستورها : "خدمة المثل الوطنية في السودان ورفض السماح بفصل السودان عن مصر ، وان كان من الصعوبة بمكان أن يصل المرء الى اقتناع كامل حول ولاء "اللواء" لمصر : هل هو ولاء حقيقي أم عمل سياسي مرحلي ؟ وسبب هذا الاضطراب ان مواقف "اللواء" المعلنة كانت ولاء كاملا لمصر على حين ان واقع تصرفات الاعضاء واتجاهاتهم كان يوحي بالاستقلال الكامل ٠

ولعل اللواء قد اتخذت من مصر درعا قويا لحماية نفسها في مواجهة البريطانيين ومن تعاون معهم ٠ وبرغم كل شيء فقد تعاونت الحركة الوطنية المصرية مع الحركة الوطنية السودانية ، وأدى هذا التعاون الى ارتباط السودان بمصر

وكراهية الحكم البريطاني • ورغم كل شيء فقد حظيت هذه الحركة بعطف المصريين الكامل حتى اتهمهم البريطانيون بأن " اللواء " تعمل بوحي من مصر • (١٨) وقد نفذ المرحوم دكتور جعفر محمد على بخيت بذكاء الى طبيعة هذا الارتباط بين القوى الوطنية فى السودان ومصر حين قال : (ومن ناحية تكتيكية ، فان المشكلة التى واجهت حفنة من أعضاء الجمعية ممن نهلوا من التعليم والثقافة الغربيين ، هى نفس المشكلة التى واجهت المتعلمين دائما فى كل الاقطار المستعمرة فى البداية ، ذلك أن أيدلوجيتهم السياسية المستمدة من الفكر الغربى ، لم يكن لها الا أثر ضئيل واعتبار قليل بالنسبة لمعظم سكان السودان ، ومن ثم تعين عليهم ترجمة الافكار والمصطلحات الغربية وتبسيطهما للتعبير عنها بعبارات أخرى مفهومة للكافة •" (١٩)

ويظل الدور الاساسى للواء الابيض فى تاريخ الحركة الوطنية السودانية أنها عملت على خلق الارادة الشعبية فى القضاء على الاستعمار ، فهى لم تعمل فقط على وقف سيل الرسائل التى تعبر عن الولاء السودانى ممثلا فى القوى التقليدية للارادة البريطانية فحسب ، بل عملت على استقطاب جموع الموظفين وصغار العاملين والتجار بالخروج فى مظاهرات تنادى بسقوط الاستعمار • كما وسعت من مد الثورة حينما خلقت فروعا

للجمعية فى المدن الكبرى وبعض المراكز فى السودان • ويبقى سندها الشعبى الحقيقى ممثلا فى الموظفين والطلاب والتجار والعمال وطلاب كلية غردون والمدرسة الحربية والمعهد العلمى بأم درمان، وبعض ضباط الجيش • وقد اعترف مدير مكتب المخابرات بأثر هذه الجمعية على مستقبل السودان، وهى فى رأيه قد ضمت الاشخاص الذين سيكونون فى المستقبل القريب " الحزب المشاغب " (٢٠)

ومرة اخرى يقدم دكتور بخيت رأيا طيبا فى استقراء دور " اللواء " وصلتها بالحركة الوطنية المصرية ، فيقول : ولعل مما لاريب فيه أن الجمعية كانت من ناحية التكتيك السياسى والثقافة والايدولوجية وثيقة الصلة بمصر • ولكن ان كان ولس صحيحا فى هذا الشأن فقد تناسى أهمية العوامل الانسانية الفكرية • ذلك أن جمعية الاتحاد السودانى التى تأسست قبل ثلاث سنوات من جمعية اللواء الابيض كانت قد أسست معالم الاثارة الوطنية الطبيعية ، بل ان كثيرا من الاعضاء العاملين فى جمعية اللواء الابيض كانوا قد انتسبوا من قبل لجمعية الاتحاد بل كانوا اكثر الاعضاء نشاطا فيها • ولذلك يبدو من الاوفق والاسلم ان تفسر حركة اللواء الابيض بأنها حركة سودانية لحما ودما ، وأنها كانت تعمل

لخدمة المصالح السودانية بالتعاون مع الوطنيين بمصر بأكثر من أنها واجهة للقاهرة ·[٢١]

- ٩ -

تعكس محاكمة اعضاء اللواء الابيض جانبا من التكوين الفكرى لثورة ١٩٢٤م ، يقول على عبد اللطيف مجيبا المحكمة على سؤال لها إن كان من أغراض الجمعية البحث فى مظالم الاهالى : "ليس من أغراض الجمعية أن تبحث فى مظالم الاهالى بل كنا معارضين للتغيير المطلوب اى أن يكون الانجليز مطلقى التصرف بالسودان دون المصريين ·"[٢٢] ويقول فى اجابة عن سؤال آخر " ··· كنا نفضل المصريين على الانجليز ونريد ضم السودان لمصر ·"[٢٣]

ولعل من الاغانى التى حدت ثورة ١٩٢٤م مايشف عن هذا الارتباط العميق بمصر : سياسيا ووجدانيا · فقد تغنى طلبة الكلية الحربية فى مظاهرتهم الشهيرة وهى تجوب شوارع العاصمة، تغنوا بنشيد عبيد عبد النور "يا أم ضفائر " والذى يقول فى مقطع منه :

لى نصرتك قاموا العيال   وفى يمين رفعوا " الهلال "

وهى اشارة الى مظاهرات "اللواء الا بيض" التى كانت تحمل أعلاما بيضاء عليها خريطة وادى النيل وفى أعلاها الهلال .

وبالمثل كانت رائعة ابراهيم العبادى التى استهلها بوحدة مصر والسودان تحت لواء واحد :

نيل مصر والسودان سوا   ينساب تحت واحد لوا

وتظل انشودة خليل فرح ، واسطة عقد أغانى الثورة ، وتظل مستبطنة للمنحى الفكرى لجذور ١٩٢٤م :

نيلنا يانيل الحيا   حياك حياك الحيا

ولعل فى الدفاع الذى أدلى به طلبة الكلية الحربية عندما استجوبوا عن خروجهم فى تلك المظاهرة ، ما يظهر عميق هذا الارتباط بمصر . فقد اتفقوا على القول : "علمنا ان هناك مساعى ترمى لفصل السودان عن مصر ، والى تجزئة وادى النيل ، وعلمنا ان مليك وادى النيل (فؤاد الأول) حصل التعريض به فى محكمة جنايات الخرطوم ، وعلمنا بالمظالم الاستعمارية التى تقذف بها يد الاستعمار فى هذه البلاد ... فخرجنا متظاهرين معلنين استياءنا هاتفين بحياة وادينا ."(٢٤)

وعلى صعوبة القول بأن مظاهرات ١٩٢٤م انما حركتها مشاعر عدائية ضد "سفر الولاء" أو حركتها الخيبة والاحباط اللذان

أصيب بهما أعضاء الجمعية ، أو حركتها أيد مصرية سودانية ، سواء أكان هذا أم ذاك فان الحكومة البريطانية لم تلق اللوم إلا على المصريين • ويرى قلم المخابرات أن جميع المظاهرات نظمت بواسطة الا عضاء السريين المصريين لجمعية اللواء الا بيض المحرضين بواسطة على عبد اللطيف •(٢٥)

- ١٠ -

ان شعبية حركة ١٩٢٤م وارتباطها الحقيقى بالجماهير جعلت كاتبا بجريدة الحضارة يرى أنها حركة "اولاد الشوارع" الموالين لمصر ، وأن البلاد قد أهينت لما تظاهر أصغر وأوضع رجالها متحدثا باسمها ، وأن زوبعة هؤلاء الدهماء "قد أزعجت طبقة التجار ورجال المال •"(٢٦) ثم يتساءل : من هو على عبد اللطيف الذى أصبح مشهورا حديثا ؟ والى أى قبيله ينسب ؟ هذه النعرة العنصرية هى فعلا ماخشيته الادارة البريطانية وما أسمته بحدوث إضطراب من قبل "الضباط السود " ولكن حاكم عام السودان بالانابة كان أعمق رؤية، وأ صدق حسا من مدير مخابراته حين رأى أن هذه الحركة ليست وقفا على الضباط السود وحدهم، وسبب ذلك "أن الفكرة الوطنية يبدو أنها امتدت الى أكثر من ذلك • • • أى بين

بعض السودانيين الاصليين "(٢٧)

لاننكر أن هذا الصراع كان كامنا فى الاعماق، وكانت له دلالاته التى لاتجحد فى الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م.

ولقد أضعفت هذه الخلافات (بين العرب والسود) من تنظيمات الحركة الثورية داخل الجيش وبين أوساط المدنيين. فبناء على تقرير للمخابرات صدر سنة ١٩٢٤م "فقد تكونت فى مواجهة جمعية اللواء الابيض جمعية اللواء الاسود التى تكونت من الضباط السود فى الجيش الذين بسبب سواد بشرتهم لم يثقوا فى رفاقهم العرب واعتبروا انفسهم الورثة الشرعيين للسلطة ". (٢٨)

وقد رجحت لجنة ايوارت Ewart التى قامت لتقصى الحقائق حول حركة ١٩٢٤م، أن مرد الامر يعزى الى أن بعض الضباط تأثر بروح وأفكار الخريجين ومشاعرهم الوطنية، كما يعزى لاحساس الضباط بضعف حظهم فى الترقيات وتناقضهم فى الولاء العسكرى بين ملك مصر وسردار الجيش البريطانى. وقد كانت مقولة اللجنة الاخيرة : "أن كل ماحدث كان نتيجة مباشرة لتحريض وأثر المصريين."(٢٩)

ومن أهم ماورد فى التقرير، وهو أمر يشف عن الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م قوله بأن الطبقات المتعلمة فى السودان

"قد اكتسبت مفاهيم محددة فيما يتعلق بحقوق الانسان والتنمية الاقتصادية الوطنية" كما أكد التقرير على دور الموظفين الصغار وأن احساسهم بالظلم دفع بهم الى خضم العمل السياسى . أما شعبية الثورة فلم ينكرها ايوارت حين رأى أن تنظيم ١٩٢٤م كان بسيطا وتكتيكها بدائيا ، ولم يعتمد العنف الا فى القليل النادر . أما عن موقف الحركة من مصر فيرى التقرير بأن "جميع طبقات الشعب السودانى الصميم . . . يكرهون المصريين ، والحكم المصرى .

- ١١ -

وان كانت أحداث ١٩٢٤م قد خلصت - عقب احباطها - الى لون من سياسة البطش والارهاب من قبل الادارة البريطانية ، وان كان اجلاء المصريين قد افقد الحركة الوطنية بعضا من مشاعر السند والعطف[٣٠] وان كان المتعلمون قد عزلوا - مؤقتا - عن طبقات المجتمع الاخرى باعتبارهم العدو الاساسى المشترك للبريطانيين والمتعاونين معهم ، لان تفاعل المتعلمين برجال الجيش والقبائل انما هو المحرك الحقيقى فى دفع الحركة الوطنية . ورغم كل شئ فلو إستطاعت حركة المثقفين فى ١٩٢٤ م أن ترتبط بمشاعر وأحاسيس القوى التقليدية والقبلية بالسودان

ولو تفاعل الجناحان لكان مردود الثورة أكثر ايجابية، خاصة وأنها كانت سياسية وعسكرية ٠

ورغم كل شيء ، فان ١٩٢٤م تختلف عن كل الحركات الثورية في تاريخ السودان الحديث عقب سقوط المهدية ٠ ونعزى هذا الاختلاف الى تكوينها الفكرى : فهي ذات سمت مدني قلباً وقالبا ، على حين أن الحركات السابقة كانت تمور بايحاءات دينية عقيديه قبليه ٠ وهي بسبب هذه المسحة المدنية العلمانية ، قد فشلت في استقطاب التأييد الشامل لاءفراد القبائل والمزارعين (أصحاب الولاءات الدينية القبلية) وهذا يفسر لم بقى أثرها قويا في المدن الكبرى ٠ وهي - بعد - كانت تفتقد التنظيم اللازم، الذى كان يمكن ان يمد من خطى الثورة ليتسع مداها السياسى ٠ وهى رغم حسها الشعبى وماحظيت به من تأييد ، يظل قصورها في " انعدام التأييد الجماهيرى لها ٠ والحق أن التأييد الذى حظيت به كان مستمدا من المدن ومن مجموعات صغيرة من الموظفين والمستنيرين ٠" (٣١)

وفي سنوات الاعداد لها وفقت مصر في ان تقوى من تأثيرها الثقافى على السودان، بما يعد رافدا أساسيا لجذور ١٩٢٤م الفكرية٠ وقد كان لهذا العامل أثره على السياسة السودانية فيما بعد، فتأثروا بدعوات بعث الوحدة والرجعة الاسلامية ، كما استفادوا من

تجربة الحركة المصرية فى أساليب العمل السياسى ٠

وقد وفق د٠ جعفر محمد على بخيت فى استقراء النتائج المباشرة لثورة ١٩٢٤م حين قال : (ان ثورة ١٩٢٤م "قد أكدت عدم نضج الحركه الوطنية فى السودان فى تلك المرحلة ، فقد توزع الوعى السياسى الوطنى مابين الولاء لمصر من ناحية والولاء لبريطانيا من ناحية أخرى وكان لكل من الفريقين مدارس للفكر ٠" (٣٢)

المصـــــــادر

(١) راجع : جعفر محمد على بخيت :
الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان : ١٩١٩ ـ ١٩٣٩
ص ٣٥ .

(٢) يمكن حصر أهم هذه الحركات فى ثورة الخليفة شريف (١٨٩٨م) وثورة ود حبوبة (١٩٠٨م) واضطرابات المهدية فى دنقـــلا (١٩٠٨م) وحركة على عبد الكريم بأم درمان (١٩٠٠م) وحركـة محمد الا مين بكردفان (١٩٠٣م) وحركة محمد ود آدم بسنجه (١٩٠٤م) وحركة الشريف مختار الهاشمى ببربـــر (١٩١٠م) عدا حركات من ادعوا المهدية والعيسوية أو المحمديـة .
راجع : محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان:
٦٤ ـ ٨٢ .
يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الاءول :
١٣٧ ـ ١٥٨ .

(٣) لتفاصيل اوفى راجع : يونان لبيب رزق : السودان فى عهـــد الحكم الثنائى : ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

(٤) راجع شوقى عطا اللـه الجمـــل : تاريخ سودان وادى النيـل وعلاقته بمصر ـ الجزء الثالث : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٥) جعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان : ٤١ ٠

(٦) نفســـه : ٤٤ ٠

راجع محتويات المنشور فى : محمد عمر بشير : ٩٤ ٠

(٧) راجع : جعفر بخيت صفحــة : ٧٣ ٠

(٨) اطيب مثال لذلك منشور عبيد حاج الامين الذى اتهم فيـــه زعماء الطوائف الثلاث "بعبادة الملك جورج - ونبيــه لـــى ستاك الحاكم العام)

(٩) مثل خطاب عبيد حاج الامين للامير عمر طوسون الذى يعلن فيـه تأييد الحركة الوطنية السودانية للا مة المصرية ويعـارض انفصال مصـر عن السودان ٠

(١٠) راجع : ملامح من المجتمع السودانى : فصل : الهاربون الـى مصـــر : ١٢٨ ٠

ملحوظـــــة :

كان حسين شريف رئيسا لتحرير مجلة الرائد الادبية (١٩١٧م) ثم أنشأ أول صحيفة سودانية ١٩١٩م باسم حضارة السودان : وهو صاحب المقولة : " شعب بلا جريدة كقلب بلا لســـان"

نشر مقالات سياسية هامة بعنوان "المسألة السودانية" كانت هذه المقالات عاملا هاما فى نشأة التيارات السياسية فى المجتمع السودانى بعد ذلك ٠

راجع : الفصل القيم الذى كتبه عنه المرحوم الاستاذ حسن نجيله : "ملامح من المجتمع السودانى" : ٢٤

(١١) راجع شوقى عطا الله الجمل :

تاريخ سودان وادى النيل : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ٠

(١٢) لتتبع تفاصيل هذه الجمعيات السرية راجع : يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الاول ٠ ٤٣٥ ـ ٤٤١ ٠

(١٣) راجع محمد حسن عوض : قصة كفاح البطل على عبد اللطيف ٢٠ ـ ٢١ ٠

(١٤) يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الاول ، ص ٤٣٩ ٠

(١٥) راجع محمد عمر بشير : ١٠٠ ٠

(١٦) نفسه: ١٠٠ ٠

(١٧) النص من تقرير ايوارت منقول من كتاب محمد عمر بشير : ٩٩ ٠

(١٨) د٠ يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الاول: ٤٤٩ ٠

(١٩) جعفر محمد على بخيت : ٧٩ ٠

(٢٠) نفسه : ٨٢ ٠

(٢١) نفسه : ٨٤ ٠

كانت هناك جمعيات أخرى بجانب اللواء الابيض لعبت دورا مقدرا فى الثورة ضد الحكم البريطانى ١٩٢٤م منها : (١) جمعية قبيلة الجعليين : تكونت فى يونيو ١٩٢٤م برئاسة الشيخ ود عمر وقد أرسلت لعدد من المشايخ تدعوهم للانضمام "لا خواننا المصريين" ومحاربة "اعدائنا الموحدين هنا" ٠ (٢) جمعية العمال : برئاسة على محمد صالح ٠ وتضم النجارين والبنائين وصناع الاحذية وغيرهم وقد سعى رئيسها لينضم الى جمعية اللواء الابيض ٠ (٣) جمعية وحدة السودان : التى كان شعارها "القرآن والخبز وصورة الملك فو اد ومن أهدافها اتمام الوحدة مع مصر ٠ راجع يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الا ول : ٤٥٠ ٠

(٢٢) حسن نجيله : ٢١٣ ٠

(٢٣) نفسه : ٢١٤ ٠

(٢٤) نفسه : ١٩٩ ٠

(٢٥) جعفر محمد على بخيت : ٩٣ ٠

(٢٦) نفســه : ٩٤ ٠

(٢٧) نفســه : ١٠١ ٠

(٢٨) راجع محمد عمــر بشير : ١٢٠ ٠

لاغــرو أن مما أثــار انزعاج الادارة البريطانية أن عــددا من قادة الثورة فى عام ١٩٢٤م كانوا ينتمون لا صل زنجـــى : فعلى عبد اللطيف قائد جمعية اللواء الا بيض وعبد الفضيل المَاظ وثابت عبد الرحيم وحسن فضل المولى الذين تزعموا ثورة نوفمبـر العسكرية ينتمون لا صـل دينكاوى ٠

(٢٩) جعفر محمد على بخيت : ١١٢ـ ١١٣ ٠

(٣٠) لاغرو أن أحس المصريون بشىء من تأنيب الضمير فــى تخليهم عن حركة ١٩٢٤م وعدم مد يد العون اليها فى ساعاتهــا الحاسمة ٠ وقــد عبر الدكتور محمد حسنين هيكل عنــد زيارتــه للسودان منتصف يناير ١٩٢٦ عن هذا الشعور فى قوله: " امــا المصريون فكان يخالجهم شعور مبهم يختلط فيه الا سف بالالــم بتأنيب الضميــر " ٠

وقد عبر صالح عبد القادر عن هذا الموقف فى شعر مشهور فــى هذا الصدد ٠

راجع حسن نجيلة ٢٣٤ ، محمد عمر بشير : ١٣٧ ـ ١٣٨ ٠

(٣١) محمد عمر بشير : ١٢١ ،

(٣٢) جعفر محمد على بخيت : ١١٦ - ١١٧ ٠

ملحوظـــــة :

صار الموقف أكثر وضوحا للمثقفين السودانيين عقب احباط ١٩٢٤ ، وقد بدا ذلك في موقف التشكك الذى قابل به الرأى العام السودانى مشروع الجزيرة ، وعبر عنه عند افتتاح خزان سنار ١٩٢٦ م الاستاذ عمر الازهرى بحسه الساخر : "كان يعبر عن وجهة نظر الشبان الذين كانوا يسيرون مع الثورة المصرية ويؤمن باتجاهاتها " كما نص على ذلك المرحوم حسن نجيلة ٠

تقول ابيات القصيدة :-

اجـر يانيـل ولكـن مسرعـا	قبل أن يعلوك خزان المياه
سر وقل أن ينج سعد ظافـرا	فلقد أودى سعيد بالغـلاه
أثقلونى حيرة واحتكروا كـل	مشروع سوى باب السفـاه
أمسكوا عن قلمى بل أمسكـوا	لفظة تخرج من بين الشفـاه
فالتزمت الصمت حتى لم أقـل	فى كلامى غيـر آه ثـم آه

ملامـح : ص ٢٥٠ ٠

المـــــراجع

(١) جعفر محمد على بخيت (دكتور)

الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ١٩١٩ـ١٩٣٩م

دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م) ٠

(٢) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السودانى ، (مطبعة مصـــر

(سودان ليمتد) ١٩٥٩ م

(٣) شوقى عطـا اللـه الجمـــل (دكتـــور) :

تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر ، (مكتبـــة الانجلـــو

المصرية ، القاهرة ١٩٨٠م) الجزء الثالث ٠

(٤) محمد عمر بشير (بروفسور) : تاريخ الحركة الوطنيــة فــى

السودان ١٩٠٠ ـ ١٩١٩ ، (الدار السودانية، الخرطوم ١٩٨٠)٠

(٥) يونان لبيب رزق (دكتـــــور) :

(أ) السودان فى عهد الحكم الثنائى الا ول ١٨٩٩ ـ ١٩٢٤ ٠

(جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات والبحوث العربيـــة

القاهرة ١٩٧٦ م)

(ب) السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٣٠ـ١٩٣٦م

معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٤م) ٠

آثار ثـورة ١٩١٩ فى مصـر علـى ثـورة ١٩٢٤ فـى السودان

د٠ شوقى عطا الله الجمل

ارتبطت الحركه الوطنيه فى السودان بالحركه الوطنيه المصريه ، واذا كانت انجلترا قد اتجهت انظارها للسودان من وقت بعيد فـان احتلالها لمصر عام ١٨٨٢ جعل انظار الانجليز تتركز اكثر على هذه البلاد (١) ٠

ولامجال هنا للدخول فى التفاصيل الدقيقه عن مظاهـر وأسباب اهتمام انجلترا ببسط نفوذها وسيطرتها علـى السـودان أو على الاقل على مـناطق خاصة منه ، رأت أنها اكثر أهمية لها ٠ لكـن أشير مثلا انه لما انتشرت الثوره الوطنيه - ثورة المهدى - فـى السودان الشرقى قررت انجلترا التى كانت فى ذلك الوقت تحتل مصر أن تعهد لاحد رجال بحريتها الادميرال هيويت (Admiral Hewett) بمهمة الدفاع عن سواكن بالذات ، كما قـررت انجلترا ، وذلك بناء على نصيحة قنصلها فى مصر السير ايفلن بارنج (Evelyn Baring) (٢) أن ترسل تجريدة قوامها ٤٫٠٠٠ جندى بقيـادة السير جيرالـد جراهام (Sir Gerald Graham) الى سواكن لحمايـة طريـق بربر سواكن (٣) وقد وصلت هذه التجريدة الى سواكن فى ٢٧ فبرايـر ١٨٨٤ ٠

وبالطبع يرجع اهتمام انجلترا بموانىء البحـر الاحمـر السودانية لسببيـن :

١- اهمية هذه المنطقة المواجهة لعدن التى كانت فى يد الانجليز منذ عام ١٨٣٩ ٠

٢- اهميتها لتحقيق اهداف انجلترا الاستعمارية فى افريقيا فى ذلك الوقت الذى نشطت فيه حركة تقسيم افريقيا ٠

واذا كانت الثورة المهدية قد نجحت الى حين على الاقل فى اقامة حكومة وطنية فى السودان بعد سقوط الخرطوم ومقتل غردون فى فجر يوم ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ فان المجال قد فتح فى الحقيقة أمام الدول الاوروبية الاستعمارية لمد نفوذها على الأراضى التى لم تستطع حكومة الخليفة عبد الله التعايشى بسط سلطانها عليها سواء فى شرق السودان او جنوبه فضمت إنجلترا مثلا أجزاء من مديرية خط الاستواء الى محمية اوغندا التى اقامتها بموجب معاهدة ٢٩ مايو ١٨٩٣ هذا بالاضافة الى الاجزاء التى مد الانجليز نفوذهم اليها فى شرق السودان فى المناطق الهامة المقابلة لمستعمرتهم فى عدن (٤) ٠

لكن منذ عام ١٨٩٦ اخذت انجلترا ، لاسباب متعددة تتعلق بمصالحها الحيوية وموقفها من الدول الاستعمارية وأطماعها فى افريقيا عامة والسودان ومنابع النيل بصفة خاصة ، تفكر جديا وتعد العدة لاسترجاع سلطانها على السودان (٥) ٠

وفى ١٢ مارس ١٨٩٦ تقرر ان ترسل حملة بقيادة سردار الجيش المصرى السير هربرت كتشنر (H. Kitchener) لاحتلال دنقلة ولم تستشر الحكومة الانجليزية خديوى مصر قبل ارسال الحملة وقد اشار كرومر فى خطاب أرسله الى سالسبورى الا ان الخديوى رفض ان يخطب فى الجنود قبل رحيلهم اذ انه يشكو من ان احدا لم يستشره سلفا قبل تقرير ارسال الحملة".[٦] بل ان الباب العالى احتج على دخول مصر فى حرب مثل هذه دون اخذ موافقته المبدئية.[٧] على كل، انتهى الامر بأن تحقق الحملة أهدافها ، ودخل كتشنر ام درمان فى سبتمبر ١٨٩٨ وتبع ذلك استرجاع بقية اقاليم السودان.

وقد إستطاع كتشنر الذى منح لقب لورد الخرطوم (Lord Kitchener of Khtm.)[٨] ان يضع بمعاونة مستشاريه نظاما غريبا اطلق عليه إسم اتفاقية الحكم الثنائى للسودان التى ألزمت مصر على توقيعها فى ١٩ يناير ١٨٩٩[٩] .

لقد حقق هذا النظام أهداف إنجلترا فى السودان دون الاصطدام بالمشكلات التى قد تنجم من تسمية السودان أرضا إنجليزية صرفة وقد عبر كرومر عن ذلك بصراحة فى خطاباته للورد سالسبورى مشيدا بالجهد الذى بذله المستشار القضائى السير مالكولم ماكيلورث (Sir M. Mcllwarth) ليصل الى

هذه النتيجة ٠ (١٠)

ومن الطريف أن نشير إلى ان كرومر قبل أن يغادر مصر عام ١٩٠٧ كتب لوزارة الخارجية البريطانية مشيرا إلى مخاوفه من ان تحدث خلافات بين تقرير كل من خليفته سير الدون غورست (Sir E. Gorst) وحاكم عام السودان ونجت (Wingate) للأمور بما يزيد من ثورة وحماس الوطنيين المصريين والسودانيين خاصة فى ذلك الوقت الذى زادت فيه حرارة الحركة الوطنية المصرية ضد الحكم البريطانى ٠ (١١)

وبعد قيام الحكم الثنائى فى السودان بقليل ظهرت بوادر حركات وطنية فى شمال السودان وجنوبه حاولت فى جملتها الإلتفاف حول زعامة دينية أو زعامة قبلية - لكن الادارة فى السودان نجحت فى النهاية فى القضاء على هذه الثورات والحركات فى مهدها ومن هنا ظلت حكومة السودان تتوجس خيفة من كافة التجمعات او الحركات الدينية فقد كان الخوف يساورها من معاودة تجدد حركة المهدى أو الحركات المماثلة ولذلك كان موقفها المتشدد من هذه الحركات مبنيا على هذه النظرة وتلك المخاوف ٠ (١٢)

وكانت للحرب العالمية الاولى وأحداثها آثار عميقة على الحركة الوطنية فى مصر والسودان ٠

وكانت بريطانيا قد اصدرت فى ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ اعلانا بوضع مصر تحت الحماية البريطانية وبذلك زالت السيادة العثمانية عن مصر وكانت الدولة العثمانية قد اعلنت انحيازها الى جانب المانيا وحلفائها واعقبت بريطانيا اعلانها هذا بخلع الخديوى عباس حلمى الثانى وتولية السلطان حسين كامل العرش مكانه وقد شعر المصريون ان هذه الاجراءات التى تقوم بها الحكومة البريطانية دون أى إعتبار لرأى المصريين فيها اهانة لشعور الوطنيين المصربين، وتكشف عن نيات بريطانيا تجاه مصر . ولكن بريطانيا استطاعت فى ظل الاحكام العرفية التى فرضت على مصر منذ ١٩١٤/١١/٣ ان تكبت الحريات وان تفرض رقابة صارمة على الصحف الوطنية . وفى ظل هذه الاحكام أعتقل كثير من رجال الحزب الوطنى والشباب المتحمس، كما سخرت موارد مصر لسد حاجة جنود الخليفة (١٣) .

وفيما يتعلق بالسودان اعلنت بريطانيا الاحكام العرفية فى ١٤ نوفمبر ١٩١٤ واتجهت الادارة البريطانية بالسودان لكسب ولاء رجال الدين والعلماء والاعيان لبريطانيا لينعكس ذلك بالتالى على الشعب السودانى نفسه وقد نجح رجال الادارة فى السودان فى جمع توقيعات العديد من الاشخاص البارزين والزعماء معلنين تأيدهم لبريطانيا وبذلك تغلبت بريطانيا على المشكلة !!.

تورقها من الخوف من ان ينظر المسلمون للحرب بينها وبين تركيا زعيمة العالم الاسلامى على انها حرب دينية .[(١٤)]

وكان طبيعيا ان تنشط الدعاية العثمانية فى دعوة المصريين والسودانيين للجهاد المقدس ضد المستعمرين الاجانب الذين يسعون لاطفاء نور الاسلام .[(١٥)]

وقد شهد السودان فى هذه الآونة عدة ثورات نجحت الادارة فى قمعها . لعل ابرزها ثورة على دينار فى دارفور .

وقد انتهت هذه الثورة بالقضاء عليها على يد قوات الكولونيل كلى (Kelly) والقائمقام ماكمايكل واخضاعها مديرية دارفور مرة اخرى لسلطة حاكم عام السودان الذى عين كلى مديرا للمديرية وماكمايكل وكيلا لها .[(١٦)]

ولم تكن ثورة على دينار هى الوحيدة التى شهدتها منطقة دارفور والمناطق الاخرى النائية من السودان ضد الادارة البريطانية وقد شهدت مناطق جنوب دارفور فى دار مساليت ودار حمر وغيرها ثورات مشابهة نجحت السلطات البريطانية فى اخمادها .

والآن بعد هذا التمهيد ننتقل للظروف التى قامت فيها ثورة ١٩١٩ فى مصر والحركة الوطنية فى السودان التى وصلت لذروتها فى عام ١٩٢٤ لدراسة العوامل التى ربطت بين الحركتين

ولنبدأ بالقاء بعض الاضواء على ثورة ١٩١٩ فى مصر ومــوقف بريطانيا منها :

تحملت مصر كما تحملت غيرها من البلاد العربية الكثير من اعباء الحرب العالمية الاولى فقد استغلت بريطانيا جميع موارد مصر الزراعية والاقتصادية والبشرية لسد حاجة الجيوش المحاربة فى جبهة سيناء وفلسطين ، وقد تحمل المصريون الكثير بسبب ذلك خاصة وان بريطانيا اتخذت اساليب قاسية للحصول من اهل الريف على المحاصيل المطلوبة للجنود والدواب بالاضافة الى آلاف العمال والفلاحين الذين جندوا للقيام بالخدمات اللازمة للجيش .

وقد كلف المديرون المصرويون ومأمورو المراكز والعمد بجمع هوءلاء قسرا وارسالهم للخدمة فى المعسكرات الحربية ولم يعامل هوءلاء معاملة المجندين العسكريين لكنهم منحوا مبالغ تافهة ولم تطبق عليهم اللوائح العسكرية - اضف الى هذا ماتحمله المصريون بسبب الاحكام العرفية التى فرضتها بريطانيا على مصر .(١٧)

وقد عبر المصريون عن سخطهم وغضبهم واحساسهم بالظلم فى المظاهرة التى حدثت فى ٢٩ يناير عام ١٩١٦ امام قصر السلطان بالقاهرة والتى كانت موضع مناقشة فى مجلس العموم

البريطانى حيث قدم استفسار بشأنها وأسبابها وعدد المشتركين فيها الى نائب وزير الخارجية البريطانيـة .[١٨]

وحين وضعت الحرب أوزارها كانت عوامل الغضب والتأهب من المصريين لاستخلاص حقوقهم قد تجمعت فالطبقة المثقفـة كانت قد وصلت من الادراك الى حد معرفة حقوق المصريين وما على الدولة التى اعلنت حمايتها ان تحققه فى ضـوء الاعلانات المتعددة التى اعلنت اثناء الحرب وفى ضوء ما اعلنه الرئيس ولسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية فى مبادئـه الاربعة عشر الداعية لتحرير الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها . والطبقة العاملة من عمال وفلاحين كانت قد عانت الكثير أثناء الحرب وتتطلع للخلاص من تلك القيود ، ولم يكن ممكنـا ان تستمر القيود التى فرضت على المصريين أثناء الحرب والتـى كبحت جماح الحركة الوطنية فى مصر طوال سنوات الحـرب . وقد اشار ونجت (R. Wingate) إلى ذلك فى خطاب أرسله لحكومتـه .[١٩]

وكانت البداية حين قرر الوطنيون المصريون تأليف وفـد يعبر عن وجهة نظرهم ويمثلهم فى مؤتمر الصلح الـذى سيعقد فى باريس لبحث الأوضاع فى اوربا وفى البلاد التـى كانـت خاضعة للدول المنهزمة بعد إنتهاء الحـرب .

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ قابل سعد زغلول ورفاقه من أعضاء الوفد المندوب البريطانى السير ريجنالد ونجت وطلبوا السماح لهم بالسفر إلى لندن لابلاغ وجهة نظرهم للحكومة البريطانية لكنهم منعوا من السفر فأضطروا لارسال برقيات الاحتجاج لرئيس مؤتمر الصلح ولرئيس وزراء بريطانيا لمعتمدى الدول الاجنبية فى مصر وحدد الوفد فى برقياته مطالب مصر[٢٠].

وتتابعت الاحداث. ففى ١٣ يناير ١٩١٩ عقد اجتماع فى منزل حمد الباسل وفى هذا الاجتماع اعلن سعد زغلول مطالب مصر فى الاستقلال والتمتع بحكومة دستورية ، وصرح بقوله ان كل مانقوله عن مصر ينسحب على السودان لا ن مصر والسودان كل لايقبل التجزئة[٢١].

وقام الوفد بتعريف الرأى العام الداخلى بحقيقة الوضع ، وبمطالب المصريين وجمع التوقيعات والتوكيلات الشعبية لتفويض الوفد بالحديث عن المصريين بخصوص هذه المطالب.

ولما قبل السلطان أحمد فؤاد - الذى حل محل السلطان حسين كامل بعد وفاته على عرش مصر - استقالة وزارة رشدى باشا التى قدمتها نتيجة اصرار سلطات الاحتلال على منع رشدى باشا من السفر للخارج لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح.

طلب سعد زغلول فى ٣ مارس ١٩١٩ مقابلة السلطان وترك له عريضة عنيفة اللهجة لامه فيها على مساعدته للبريطانيين فى موقفهم من الشعب المصرى ومطالبه •

وقد رأت السلطات البريطانية فى موقف سعد وزملائه تحريضا على منع تشكيل وزارة جديدة وتشهيرا بسمعة بريطانيا لدى الدول الاجنبية فى مصر فقررت فى ٨ مارس ١٩١٩ القبض على سعد زغلول وإسماعيل صدقى، وحمد الباسل، ومحمد محمود، ونفيهم إلى مالطة وكان ذلك ايذانا باندلاع الثورة فقامت المظاهرات تطالب بالاستقلال وجلاء جنود الاجانب وهوجمت دور الحكومة كما تعرض المتظاهرون لمركبات النقل والسكك الحديدية وغيرها • ولجأت بريطانيا لتعيين اللورد آلنبى (Allenby) مندوبا لها بمصر فقد كانت شهرته قد ذاعت بسبب هزيمته للعثمانيين فى فلسطين وكان عليه ان يقمع الثورة ويعيد النظام وان يتخذ من الاجراءات مايراه ملائما لذلك •[٢٢] واضطرت السلطات البريطانية للافراج عن سعد وزملائه والتصريح لهم بالسفر الى حيث يشاءون وقد عاد الوفد الى مصر وغادرها يوم ١١ أبريل ١٩١٩ الى باريس لعرض القضية المصريه - لكن بريطانيا نجحت فى ان توصد ابواب مؤتمر الصلح امام الوفد المصرى وان تكسب حلفاءها فى الحرب الى جانبها • حتى ان الرئيس

ولسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية وصاحب المبادىء المشهورة في أثناء الحرب عن حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها . إعترف بالحماية البريطانية ودعا الشعب المصرى للتفاوض مع بريطانيا للحصول على قدر مناسب من الحكم الذاتي .(٢٣)

ولم يكن امام سعد وزملائه إلا العودة لبدء مرحلة جديدة من الكفاح يبذل كل جهد لتعريف الرأى العام الاوربي والامريكي بحقيقة القضية المصرية وبدأت القضية الوطنية تدخل مرحلة اخرى اتسمت احيانا باللجوء لوسائل العنف وأحيانا أخرى بمحاولة التفاوض مع بريطانيا للتسليم بحقوق مصر المشروعة ، وتوالت الاحداث فكانت الفترة التالية من تاريخ مصر القومى تتسم إلى حد كبير بمحاولة المفاوض المصرى الاستناد الى الشرعية القانونية والوسائل الدبلوماسية للحصول من المفاوض الانجليزى على الإعتراف بحقوق مصر .

على انه مهما يكن الامر فقد كانت لثورة ١٩١٩ في مصر وللا حداث التى لازمتها آثارها العميقة في مصر وفي السودان بل وفي مختلف الاقطار والشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها .

العوامل التى أدت لانتقال آثار ثورة ١٩١٩ في مصر للسودان :

رأينا كيف ان انجلترا احتلت مصر عام ١٨٨٢ وانتهزت

هذه الفرصة لتحقيق اطماعها الاستعمارية فى السودان، وقد ارتبطت احداث الشمال والجنوب منذ ذلك الوقت فقد كانت انجلترا تنسق بين سياستها فى مصر والسودان، وكان المندوب السامى البريطانى فى مصر هو حلقة الوصل بين بلاده وبين حاكم عام السودان وكبار العاملين به، وكانت الاجراءات التى تتخذها انجلترا تجاه السودان بناء على تقاريره، وقد ادرك المثقفون المصريون والسودانيون ان مصيرهم واحد ولعل فى تصريحات سعد زغلول التى اشرنا اليها من قبل من ان ماينطبق على مصر ينسحب على السودان مايدل على هذا الفهم لوحدة المصير .

ولعل من اهم العوامل التى ربطت بين ثورة عام ١٩١٩ فى مصر وثورة ١٩٢٤ فى السودان :

أولا : العدو المشترك :

رغم محاولات الانجليز المتعددة لتشويه سمعة مصر فى السودان وللوقيعة بين المصريين والسودانيين فقد أدرك السودانيون كما ادرك المصريون ان مصلحة البلدين تتمثل فى التخلص من العدو المشترك الجاثم على صدر البلدين والذى يقبض على دفة الحكم ويسير الامور لصالحه ويستغل شعبى

البلدين ومواردهما الطبيعية لصالحـــه ٠

ثانيا - إنتشار التعليم وظهور طبقة مثقفة واعية :

كان كرومر يدرك تماما ان المتعلمين هم الطبقة التـــى يخشى منها لاثـارة الوعى القومى بين المواطنين - هذا بالاضافـــة الى ان التعليم الدينى بالذات يثير الحماس وكان عدد مـــــن السودانيين يحرصون على ارسال ابنائهم للا زهر الشريف فى مصـر لتلقى مبادىء وأسس الدين الاسلامـــى وليتفقهوا فى دينهم وكـــان هذا من وجهة نظره يتيح فرصة للالتقاء بين وجهات نظـــــــر المصريين والسودانيين ويمثل خطرا واضحا للوجود البريطانـــــى فـــى البلدين - لذلك رسمت السياسة التعليمية على اســـــاس اعداد طائفـــه من الكتبة المحليين فحسب ٠ (٢٤)

وكان انشاء كلية غوردون التذكارية فـــــى الخرطـــــوم خطوة فى هذا الاتجاه ٠ وقد بدأ الامر فى عام ١٩٠٠ بانشــــاء مدرستين ابتدائيتين احداهما فى ام درمان والاخرى فـى الخرطـــوم وذلك الى ان تتم المبانى ٠ وقد تمت فعلا فى عام ١٩٠٢ فانتقلت اليها المدارس التى كانت قد بدأت نشاطها من قبل ولعـــــل الشروط التى وضعت للقبول بالكلية وادارتها الانجليزية ومدرسيها وجلهم كانوا من الانجليز تدل على هذا الاتجاه نحو توجيـــــه التعليم لخدمة اهداف الادارة الحاكمة ٠ (٢٥)

وشجع الراغبون فى التعليم الدينى على الالتحاق بالمدارس الملحقة بالمساجد بمعهد امدرمان الدينى الذى طور التعليم فيه بحيث اصبح يمنح نفس الشهادة التى يمنحها الازهر الشريف بمصر فلم يعد الراغبون فى هذا النوع من التعليم بحاجة للسفر الى القاهرة على ان الادارة فى ضوء الاحداث السابقة فى الثورة المهدية - لم تكن تنظر بعين الارتياح لخريجى هذه المدارس والمعاهد الدينية فقد كانت النظرة اليهم على انهم يمثلون المجتمع بأفكاره وآرائه • وكان الخريجون لايكادون يجدون عملا الا فى المحاكم الشرعية ، وقد فتح فى كلية غوردون قسم للشريعة لتخريج من يحتاج لهم الامر من قضاة المحاكم الشرعية •(٢٦)

على أنه فى وسط هذا الجو الملبد بالغيوم والشكوك نجحت بعض الهيئات المصرية فى انشاء بعض المدارس فى السودان ولعل فى مقدمتها الكلية القبطية للبنين التى افتتحت فى عام ١٩٤١ ، وتزايد عدد المصريين المشتغلين بالتعليم فى السودان وكانت لهم آثار قوية فى نفوس الدارسين لدرجة أن تقارير المخابرات البريطانية عن هذه الفترة تشير الى أنه يخشى من روح الكراهية والعداء للبريطانيين وللادارة الحاكمة التى يبثها المدرسون المصريون فى نفوس الطلبة السودانيين •(٢٧)

وكذلك لابد من الاشارة فى هذا المجال الى الصحف المصرية التى كانت تجد طريقها الى السودان ويتلقفها السودانيون بشغف واهتمام ويتناقشون فيما بينهم فيما تثيره من قضايا أدبية ودينية وسياسية ٠ وهكذا فى وسط هذا المناخ الثقافى تلاقت الآراء والافكار على وجوب القيام بنهضة شاملة تشمل جميع نواحى الحياة فى السودان وتنتقل بالبلاد الى مرحلة اخرى ٠

ولعل الخطوة الحاسمة التى تمت فى هذا الاتجاه هى تأسيس نادى الخريجين بأم درمان وقد بدأت فكرة النادى فى يناير عام ١٩١٣ وأن لم توضع الفكرة موضع التنفيذ ويقدر لها النجاح الا فى مايو ١٩١٨ ٠ وقد أسهم فى تأسيس هذا النادى نظار المدارس الابتدائية السودانية وكان جلهم من المعلمين المصريين٠ وقد لعب هذا النادى دورا هاما فى حياة السودان الاجتماعية والثقافية والسياسية لاحقا ٠ (٢٨)

فقد ساهم هذا النادى فى توحيد صفوف الصفوة من المثقفين السودانيين فأخذوا يلعبون دورا واضحا فى توجيه التيارات السياسية فى بلادهم وانتزعوا قيادة الحركات الشعبية من يد الزعماء القبليين والدينيين الذين ارتموا فى احضان السلطة البريطانية ٠

ثالثا - انتقال الروح الثورية للسودان :

لقد اشارت لجنة ايوارت (Ewart Committee) التى

شكلت عقب ثورة ١٩٢٤ بالسودان الى اثر الاحداث التى حدثت في مصر في عام ١٩١٩ وانتقال صداها الى السودان : كما اشارت الى ان الموظفين والجنود والضباط المصريين كان لهم اثرهم على اخوانهم السودانيين . وان حالة عدم الاستقرار ، التى عمت على الخصوص صعيد مصر ، انتقلت اصداؤها الى السودان ، ودللت على ذلك بأن الشعارات التى كان ينادى بها المصريون أثناء احداث ثورة ١٩١٩ كانت هى نفس الشعارات التى ترددت في المظاهرات التى إندلعت بعد ذلك في السودان .(٢٩)

ولعل المراحل التى مرت بها ثورة ١٩٢٤ فى السودان كما سنوضح بتفصيل ، وهى لاتختلف عن المراحل والاساليب التى انتهجتها ثورة ١٩١٩ فى مصر ، تدل بجلاء على انتقال هذه الآثار الثورية من مصر إلى السودان .

والأمر يبدو عاديا اذا وضعنا فى الاعتبار أنه رغم القيود التى فرضتها السلطات البريطانية فان هجرة المصريين من موظفين وتجار وغيرهم للسودان وهجرة السودانيين لمصر لم يكن فى الامكان منعها او اعاقتها بحال من الاحوال .

وأشير فى هذا الصدد الى ماجاء فى تقرير مدير المخابرات المستر واليس (Wallis) من ان المصريين هم الذين يحرضون السودانيين على الثورة وان حزب الوفد المصرى

كان على اتصال باعضاء نادى الخريجين بأم درمان لتنسيق العمل بين الشمال والجنوب (٣٠)٠

ومما لاشك فيه ان أخبار الحركة الوطنية المصرية والتطورات التى آلت إليها ألهبت شعور السودانيين للمطالبة بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة وفى التحكم فى مصير بلدهم ويتضح ذلك بجلاء من تتبع التطورات السابقة والملازمة لثورة ١٩٢٤ فى السودان٠

رابعا : وضع السودان فى المفاوضات التى أعقبت ثورة ١٩١٩

بعد ان تعثرت مهمة الوفد المصرى فى باريس بسبب موقف بريطانيا من أعضاء الوفد وعملها لاجهاض جهوده اتجهت (بريطانيا) لارسال لجنة من ستة أعضاء برئاسة اللورد ملنر (Lord Millner) وزير المستعمرات البريطانى لمعرفة أسباب الاضطرابات التى حدثت فى مصر (٣١)٠ وفى نفس الوقت أرسلت اللجنة عضوين من أعضائها إلى السودان فى الفترة من ٩ الى ١٦ فبراير ١٩٢٠ هما السير ماكسويل أوين توماس وذلك لتقصى الوضع فى السودان ايضا ولم تنجح اللجنة فى مهمتها لمقاطعة الشعب المصرى لها ،لكن نجحت المساعى المبذولة لاقناع سعد زغلول باشا وزملائه بالسفر للندن لمحادثة اللجنة ٠

ومنذ ذلك الوقت تعددت المحاولات للوصول لاتفاق بين الدولتين دوى جدوى فقد جرت بين وفد مصر وعلى رأسه عدلى باشا يكن رئيس الوزارة المصرية ووفد بريطانى على رأسه اللورد كيرزون وزير الخارجية مفاوضات بدأت فى السادس عشر من يوليه ١٩٢١ واستمرت حتى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٢١ دون الوصول لاتفاق وانتهى الامر باستقالة وزارة عدلى يكن فى ديسمبر ١٩٢١ باصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وأعقبه تأليف وزارة ثروت باشا التى عكفت على تشكيل لجنة لوضع مشروع الدستور المصرى بناء على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .(٣٢)

هذا وفيما يتعلق بالسودان حرصت انجلترا فى كل هذه المفاوضات على أن تبعد موضوع السودان تماما عن موضوع المناقشات ، فقد كانت حريصة على أن تبقى سلطتها كاملة هناك ، وقد جاء فى الخطاب الذى أرسله اللورد ملنر لعدلى يكن باشا فى ١٨ اغسطس ١٩٢٠ مايلى :

" ان موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المعقود لمصر ، على أننا ندرك من الجهة الاخرى ان لمصر مصلحة حيوية فى إيراد الماء الذى يصل اليها مارا فى السودان

ونحن عازمون أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجتها الحالية والمستقبلية "(٣٣)

وتأسيسا على هذا صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وبه أعلنت الحكومة البريطانية إنتهاء الحماية البريطانية على مصر وبذا تكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة، ونص فى هذا التصريح على ان يبقى الوضع فيما يتعلق بالسودان على ماهو عليه .

وتلى ذلك وضع الدستور المصرى الذى كلفت له لجنة من ثلاثين عضوا ،على ان المندوب السامى البريطانى طلب حذف المادة ٢٩ من مشروع الدستور التى كانت تنص على ان الملك يلقب ملك مصر والسودان، والمادة ١٤٥ التى كانت تقضى على "أن تجرى أحكام الدستور على المملكة المصرية جميعا عدا السودان، فمع أنه جزء منها إلا ان نظام الحكم فيه يقرر بقانون خاص وصدر الدستور بعد ذلك بأمر ملكى فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ . وعاد سعد زغلول وزملاوءه لمصر من منفاهم فى شهر سبتمبر ١٩٢٣ .

وبناء على الانتخابات البرلمانية التى اجريت والتى فاز بها مرشحو حزب الوفد المصرى بالاغلبية كلف سعد زغلول بتأليف الوزارة المصرية التى اطلق عليها اسم وزارة الشعب من

يناير ١٩٢٤ إثر تصرفات الحكومة الانجليزية بعد اغتيال السير لى ستاك فى القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ (٣٤) .

ولعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو :

ما أثر هذه الاحداث على السودان والسودانيين ؟

لقد كانت لثورة ١٩١٩ فى مصر والاحداث التى شرحناها المتصلة بها آثارها العميقة فى السودان .

ولايعني هذا ان الثورة انتقلت من مصر الى السودان بكل تفاصيلها وأشكالها ومطالبها وما احاط بها من احداث .

فالظروف التى كانت تمر بها مصر والسودان متشابهة فالسودانيون كانوا يشكون من كثير مما كان يشكو منه المصريون وماحدث فى مصر كان دافعا لاثارة مشاعر السودانيين وتحريك الطبقة المثقفة بالذات لتشجيعها على الثورة ، كما ان خوف البريطانيين من انتقال شرارة الثورة للسودان اثر فى سياستهم هناك وأدى لفضح اتجاهاتهم وكشف اهدافهم ، كما إن الثورة المصرية فى كثير من إتجاهاتها اعطت بعض المثل للوطنيين السودانيين ومن هذا جاء التماثل فى كثير من اتجاهات الثوار فى البلدين .

وقد كان اتجاه السياسة البريطانية فى السودان كما رسمها اللورد آلنبى تقوم على محاولة إستقطاب الزعماء الدينيين

ورجال القبائل، ونجحت هذه السياسة لحد كبير ، وتمثل ذلك النجاح فى مبادرة هذه القيادات بتجديد الاعراب عن ولائها وثقتها فى الادارة البريطانية فى السودان وفصلها من أى علاقة تربطها بالحركات الثورية القائمة فى مصر فيما عرف بتجديد لما جاء بسفر الولاء .(٣٥)

لكن هذه السياسة البريطانية وأحداث الثورة المصرية ادت الى اتجاه الطبقة المثقفة السودانية بالذات والشباب وغيرهم من جمهرة المجتمع السودانى الى ان يتنبه للمخاطر التى تحيط بالسودان، وأدى هذا بالتالى للتطورات المتعددة التى تمخضت عن الثورة التى إندلعت فى إلسودان فى عام ١٩٢٤ .

ولقد أدركت السلطات البريطانية ماقد يترتب على تسرب أخبار أحداث مصر إلى السودان من آثار تضر بمصالح بريطانيا واهدافها .

ولعل زيارة اللورد آلنبى للسودان فى اوائل عام ١٩٢٠ ثم زيارته الثانية فى عام ١٩٢١ والمقالات والتعليقات التى ظهرت فى صحيفة حضارة السودان اثناء المفاوضات المصرية البريطانية تدل على إتجاه السياسة البريطانية ومخاوفها .(٣٦)

وبعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ زار اللورد آلنبى - المندوب السامى البريطانى - السودان حيث قام بجولة واسعة فى

طول البلاد وعرضها وأعلن فى حفل عام حضره زعماء السودان الدينيون ورؤساء العشائر والقبائل فى ٢٦ ابريل ١٩٢٢ بصراحة "أن الحكومة البريطانية لن تسمح بأى تغيير فى مركز السودان السياسي يمكن ان يؤثر على التقدم الذى وصلت إليه البلاد أو يهدد المشروعات البريطانية ورؤوس الاموال التى تستثمرها بريطانيا من اجل نفع هذه البلاد ورقيها ."(٣٧)

ولعل دراسة المراحل التى مرت بها الحركة الوطنية فى السودان فى الفترة السابقة لثورة ١٩٢٤ توضح كيف تأثرت هذه الحركة بثورة ١٩١٩ فى مصر .

أولا - المنشورات السرية :

سيطرت الادارة البريطانية على وسيلة الاعلام الوحيدة فى السودان متمثلة فى صحيفة حضارة السودان . بعد ان آلت ملكيتها لزعماء الطوائف الدينية وصدر العدد الاول من هذه الجريدة بعد ان تغير اتجاهها وتغيرت سياستها فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ بعد ان كانت قد توقفت مايقرب من سبعة شهور بسبب الازمات المالية التى عانتها وبسبب موقف الرقابة منها .(٣٨)

لذا اتجه فريق من المثقفين والعمال والطلبة الذين كانوا يتابعون تطور الحركة الوطنية المصرية ، أو كما قالت عنهم المخابرات السودانية تأثروا بالدعاية المصرية ، الى اسلوب المنشورات السرية يوزعونها سرا ويهاجمون فيها الادارة البريطانية

ومن انحازوا اليها ويطالبون برفع الاحكام العرفية فى السودان حتى يستطيع السودانيون ان يعبروا عن رأيهم بحرية (٣٩) ٠

ومن هذه المنشورات المنشور الذى وقع بتوقيع (وطنى ناصح أمين) ويبدو ان هذا المنشور قد وزع على نطاق واسع بدليل ان الادارة فى السودان واتباعها اضطروا للرد على ماجاء بالمنشور فى سلسلة من المقالات نشرتها حضارة السودان ونسبت فيها الى زعماء الثورة فى مصر والمؤيدين لها فى السودان العمل على ايقاظ الفتن فى السودان (٤٠) ٠

وتتابعت بعد ذلك المنشورات ، وكانت توزع بوسائل متعددة حتى ان الادارة فرضت رقابة صارمة على البريد خاصة الوارد من مصر ٠

وقد تلاحقت المنشورات السرية بشكل افزع المخابرات السودانية ومن يتتبع هذه المنشورات فى محاولة لدراسة محتوياتها وأهدافها يجد بعضها كان موجها للمواطنين السودانيين بقصد تبصير الوطنيين بمخططات بريطانيا فى السودان وكشف النقاب عن المتحالفين معها ٠

ومن هذه المنشورات ماكان موجها للبريطانيين انفسهم من حكّام ومديرين وغيرهم كما هاجمت بعض هذه المنشورات المشروعات البريطانية فى السودان كمشروع الجزيرة ووصفتها بأنها اعمال قصد بها استغلال رأس المال البريطانى وخدمة اقتصادهم ٠

هذا بالاضافة الى مهاجمة القيادات الدينية وغيرها ، وصحيفة حضارة السودان التى انحازت للمستعمر . وهكذا تعددت هذه المنشورات التى عبر فيها الوطنيون - السودانيون - بهذا الاسلوب عن مشاعرهم واتجاهاتهم التى لم يستطيعوا التعبير عنها علانية .

ثانيا - المنشورات العلنية :

ويقصد بها المنشورات التى وقع عليها أصحابها أو قدمت للسلطات على أيدى أشخاص معينين ولاشك فى أن هذه مرحلة جديدة فى طريق الثورة تدل على ثقة بالنفس وبالقضية التى يدافع عنها أصحابها .

وتتمثل هذه الخطوة فى المذكرة التى أعدها الوطنيون السودانيون وقدمها الملازم أول على عبد اللطيف بعد التوقيع عليها لصحيفة حضارة السودان لنشرها وترتب على هذا أن قبض على على عبد اللطيف وحوكم بتهمة اثارة الكراهية ضد السلطات الحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة سنة .[٤١]

وهذا المنشور الذى اثار السلطات البريطانية كان يطالب بانهاء الحكم الاجنبى فى السودان وان يكون حكم السودان لا هله .

وقد كانت محاكمة على عبد اللطيف نقطة تحول فى

الحركة الوطنية فى السودان وهى فى هذا تشبه الوضع فى مصر حين قبض على سعد وزملائه ونفوا خارج البلاد .

ثالثا - الجمعيات الادبية والسياسية :

لعل أول هذه الجمعيات التى برزت فى الحركة الوطنية فى السودان هى (جمعية الاتحاد السودانى) التى تأسست فى أم درمان فى عام ١٩٢٠ وتلتها (جمعية اللواء الابيض) ويبدو أن هذه الجمعيات بدأت على شكل خلايا صغيرة وكانت فى البداية تبدأ فى شكل جمعيات أدبية ثم اتجهت الى نشر اخبار الثورة المصرية وتطوراتها وكان الهدف الرئيسى هو إيقاظ الشعور الوطنى واثارة الكراهية ضد البريطانيين الحاكمين . وقد ترتب على سياسة القمع التى اتبعتها السلطات الحاكمة فى السودان ان انقسم اعضاء الجمعية بين المعتدلين الذين كانوا يرون ان يستمر العمل الوطنى فى الخفاء حتى لايعطى السلطات فرصة التنكيل بالوطنيين كما فعلت مع على عبد اللطيف . بينما طالب البعض بالعلانية وكان مثلهم فى ذلك الثورة المصرية وما اتسمت به من عنف وصلابة .(٤٢)

ونشير فى هذا المجال الى ان الصحافة المصرية كانت من جانبها تتابع الحركة الوطنية فى السودان وتنشر مايصل اليها من اخبار هذه الحركة، وتندد بموقف السلطات الحاكمة فى السودان من أبطال السودان المطالبين بحقهم فى حياة حرة كريمة فى بلادهم .

وقد اتسع نشاط (جمعية الاتحاد السودان) فكان لها اتباع ومؤيدون في جميع انحاء السودان، واحتفظت كثير من تشكيلات الجمعية بالسرية، كما أنه لم يكن للجمعية قائد واحد يتولى امرها فقد كان المبدأ القيادة الجماعية .

ولعل التطور الجديد في العمل الوطني السوداني هو ظهور (جمعية اللواء الا بيض) على مسرح الاحداث في فبراير ١٩٢٤ ويبدو ان هذه الجمعية - كما اثبتت وقائع محاكمات قادة الجمعية فيما بعد - قد نشأت منذ ١٩٢٠، لكن الاحداث التى صاحبت ثورة ١٩٢٤ في السودان هي التي جعلت نشاط هذه الجمعية يطفو على السطح في ذلك الوقت بالذات .(٤٣)

على ان ادارة المخابرات البريطانية والكتاب البريطانيين نسبوا تأسيس جمعية اللواء الابيض ونشاطها الى انه من عمل المصريين سواء في مصر او العاملين بالسودان، وقد ربط هؤلاء بين زيارة حافظ رمضان زعيم الحزب الوطني المصرى للسودان وقيام هذه الجمعية .(٤٤)

على ان الاحداث التي تكشفت فيما بعد اثبتت بطلان هذا الادعاء وان الامر لم يخرج عن ان اتجاه الحركتين الثوريتين في مصر والسودان كان واحدا، ويرجع ذلك لوحدة الهدف والعدو المشترك وما اتبعه في كل من البلدين من

سياسة وأساليب متماثلة • هذا بالاضافة الى ما ارتبط به الشعبان من قديم الزمان من علاقات حتمت ان يكون لاى حركة تحدث فى الشمال صداها فى الجنوب والعكس صحيح •

ولايتعارض مع هذا الرأى ماكان بين المجاهدين والمواطنين عامة فى البلدين من تعاطف خاصة فى الاحداث والملمسات •

ونشير فى هذا المجال الى ان (جمعية اللواء الابيض) التى فجرت ثورة ١٩٢٤ فى السودان هى استمرار للجمعيات والحركات التى سبقتها ، وقد اتخذت اسمها من الشعار الذى اتخذته وهو علم من القماش الا بيض عليه خريطة وادى النيل من منبعه الى مصبه رمزا للوحدة بين شعبى وادى النيل ورمزا لاسلوب الاعتدال الذى ترجو الجمعية ان تتحقق عن طريقه هذه الا هداف •(٤٥)

ومن تقرير المخابرات البريطانية يظهر ان الذين انضموا تحت لواء هذه الجمعية كانوا من فئتين مختلفتين من الموظفين والتجار والعمال وضباط الجيش والمثقفين •

ولاشك فى ان محاولة الربط بين زيارة محمد حافظ رمضان للسودان فى عام ١٩٢٣ ومقابلة رئيس جمعية اللواء الا بيض ، وبين الا حداث التى تلت هذه الزيارة وهو ما اثارته

المخابرات السودانية فى محاولة الايحاء بأن ثورة ١٩٢٤ السودانية ثورة مستوردة ، أمر غير مقبول ولا يوءيده تطور الاحداث . فثورة ١٩٢٤ بلا أدنى شك ثورة سودانية لحما ودما لها جذورها العميقة وامتداداتها فى الانتفاضات السابقة لكنها تأثرت بالاحداث التى جرت فى مصر فى عام ١٩١٩ وما اسفرت عنه من نتائج . أما محاولات الطعن فى أصالة الحركة الثورية فى السودان ودورها الرائد فى تاريخ الحركة الوطنية فهذه محاولات مفتعلة غير سليمة .

أثر تشكيل حكومة وطنية فى مصر على قيام حركة ١٩٢٤ فى السودان :

لاشك فى ان الاحداث التى حدثت فى مصر وترتب عليها تشكيل وزارة وطنية فى عام ١٩٢٤ كان لها اثرها وصداها فى السودان فازدادت الحركة الوطنية اشتعالا .

ولاشك فى ان الوطنيين السودانيين والمهتمين بقضية بلادهم على وجه الخصوص تابعوا مايحدث فى مصر ومناقشات البرلمان المصرى ، وغير ذلك من الاحداث خاصة مايتعلق منها بوضع السودان .(٤٦)

وقد ظهرت هذه الانتفاضة الجديدة فى كثير من المناسبات وفى البرقيات التى ارسلت للمسئولين فى السودان وفى مصر معبرة عن امانى السودانيين وآمالهم واحتجاجاتهم على السياسة

الاستعمارية فى بلادهـــم .

وقد كشفت جمعية اللواء الابيض نشاطها واتصالاتهـا بالفروع المختلفة بالاقاليم وحصلت على عدد كبيـر من توقيعـات المواطنين يستنكرون فيها السياسة البريطانية فى السودان .

وقد اتجه الرأى الى ارسال وفد من اعضاء الجمعية لمصـر ليبلغ المسئولين هناك رأى الجمعية فى سياسة ادارة السودان وليحمل أيضا البرقيات الورادة من اعضاء الجمعية والمواطنين لمركـز الجمعية بالخرطوم للتنديد بهذه السياسة والمطالبة بحق السودانيين فى التمتع بحريتهم فى ابداء الرأى واختيار نوع الحكم الـذى يرتضونـه .(٤٧)

ولاشك فى ان هذا الاسلوب فى جمع توقيعات المو يديـن لوجهة نظر الجمعية يذكرنا بما حدث فى مصر بالضبط حين هبت الهيئات والا شخاص لجمع توقيعات التأييد لسعد وزملائه لتقويـة مركزهم امام انجلترا وادعاءاتهـا .

أحداث ثورة ١٩٢٤ فى السودان بالمقارنة بأحداث الثورة المصرية :

تتابعت الا حداث بعد ذلك، ولانريد نحن هنا ان نتتبـع بدقة التطورات التى انتهت اليها هذه الحركة الوطنية بالسودان . لكن نشير لبعض معالمها فى محاولة لالقاء نقط الالتقاء بيـن

الثورتين، المصرية والسودانية .

وقد كانت المشاعر مرهفة بحيث ان أى حدث عرضى كان كفيلا باثارة الجماهير وانتهازه للتعبير عن مشاعرها تجاه الادارة البريطانية فى البلاد .

ففى يونيه ١٩٢٤ حدث بعد تشييع جنازة الضابط المصرى عبد الخالق حسن مأمور مركز أم درمان - وكانت له مكانة خاصة فى نفوس السودانيين أن تتابع الخطباء عند مقبرة الفقيد يبرزون مناقب الفقيد مشيرين لوحدة الشعبين المصرى والسودانى، وتطور الامر الى مظاهرة وهتافات ضد السلطات البريطانية وكان من نتيجتها القبض على الشيخ دفع الله وغيره من أعضاء جمعية اللواء الابيض وحكم على الشيخ بالسجن .(٤٨)

وتتابعت بعد ذلك المظاهرات والخطب فى المساجد أثناء صلاة الجمعه وغيرها مما أضطر الاداره البريطانيه لاصدار الاوامر بمنع المظاهرات، ولم تأبه الجمعية لهذه الاوامر فرتبت لمظاهرة ضخمة طافت شوارع الخرطوم فى ٢٣ يونية ١٩٢٤ وقد وصلت اصداء هذه الاحداث الى بريطانيا فكانت موضوع مناقشات فى مجلس العموم واسئلة وجهت لوزير الخارجية .(٤٩)

كما كانت هذه الاحداث وتصريحات المسئولين البريطانيين موضع نقاش فى البرلمان المصرى، وفى الصحافة المصرية وأدى هذا الى تبادل الاتهامات بين الحكومتين . ولجأت الادارة البريطانية فى السودان الى مختلف وسائل العنف والقسوة على أمل ان تستطيع

ارهاب الثوار وتقضى على جمعية اللواء الابيض وتشتت انصارها ولكنها لم تفلح فى مقصدهـا ٠

وفى اغسطس ١٩٢٤ حدث تطور جديد حين إشتـرك طلبة المدرسة الحربية فى الخرطوم فى المظاهرات التى إندلعت للإحتجاج على سياسة الإرهاب التى تتبعها السلطات البريطانية فى السودان للقبض على من يثبت انتماوهم لجمعية اللواء الابيض

وتليت ذلك اضطرابات فى عطبرة اشترك فيها جنود فرقة السكك الحديدية واحرق فيها عدد من الورش والالات والعربات، وكان رد الفعل لتصرفات السلطات البريطانية وموقفها من هـذه الحوادث ان اجتمع مجلس الوزراء المصرى لدراسة الموقف وقـرر الاحتجاج على تصرفات حاكم عام السودان، وعلى مايجرى مـن محاكمات ومايصدر من احكام ٠ وطلبت مصر تشكيل لجنة مصرية سودانية لدراسة الوضع وبحث اسباب هذه الاضطرابات والعمل على حقن الدمـاء ٠ (٥٠)

على ان الادارة البريطانية اتخذت خطوات حاسمة لاجلاء فـرق السكك الحديدية من السودان لمصر على دفعات كمـا اصدرت منشورا تحذر فيه موظفى الحكومة من الاشتراك فـى الانشطة السياسية ٠ كما اتجهت الى العمل على الغاء الوجـود المصرى نهائيا من السودان عسكريا ومدنيـا ٠

وقد ادركت الحكومة المصرية هدف بريطانيا من هذه الاجراءات المتعسفة ضد الوطنيين السودانيين وضد المصريين الموجودين بالسودان ولذلك ارسلت الحكومة المصرية في ٢٥ يونية ١٩٢٤ احتجاجا لرئيس الوزارة البريطانية على اعمال القمع التي ترتكبها الادارة السودانية كما ارسل رئيس الحكومة المصرية في نفس اليوم برقية الى حاكم السودان العام يطلب موافاته بتفصيل عن الحوادث التي تحدث في السودان .

ولم يصل رد من حاكم عام السودان . لكن جاء في رد وزير الخارجية البريطانية الذى بلغ الحكومة المصرية في اول يولية ١٩٢٤ أن أشخاصا غير مخلصين للنظام القائم في السودان يحاولون اثارة القلاقل والاضطرابات وأن الحكومة البريطانية تؤيد حكومة السودان تأييدا تاما في أخذ هؤلاء المشاغبين بالشدة .

"His Majesty's Government will afford the Sudan Government their full support in Dealing firmly with such agitators." (٥١)

وقد توالت احتجاجات مصر ففى ١٥ اغسطس ١٩٢٤ أرسلت الحكومة المصرية احتجاجا آخر الى رئيس وزراء بريطانيا بشأن أعمال القمع والعنف التى تتخذ مع المواطنين السودانيين .

وكان الرد البريطانى ان الحكومة البريطانية (حكومة جلالة الملك) اتخذت التدابير لتعزيز الحامية البريطانية فى السودان وأجازت لحكومة السودان ان تستبعد فى الحال عن السودان اورطة السكة الحديدية او اية وحدة اخرى قد يرى منها عدم الولاء وان حكومة جلالة الملك لن تتردد فى إتخاذ تدابير اخرى .(٥٢)

وكان رد الحكومة المصرية انه ليس لحاكم السودان ان يتخذ من تلقاء نفسه قبل الرجوع الى الحكومة المصرية قرارا بابعاد جنود مصريين من السودان او تعزيز الحاميات الموجودة فيه .(٥٣)

وفى ٢٨ اغسطس ١٩٢٤ ارسل وزير الخارجية البريطانية ردا على الاحتجاج المصرى بشأن ماتقوم به السلطات السودانية وجاء فى رده "أن المحافظة على النظام فى السودان هو من شأن الحاكم العام".(٥٤)

وقد انتهزت الحكومة البريطانية حادث اطلاق الرصاص على السير لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام فى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ووفاته فى اليوم التالى لتحقيق اهدافها .

وأشير الى أن التحقيق فى الحادث اتجه فى البداية الى اتهام السودانيين المقيمين فى مصر من أعضاء جمعية اللواء الابيض بالاشتراك أو على الاقل بالتحريض على الحادث، وقد ثبت عدم صحة ذلك فيما بعد (٥٥).

لكن هذا يدل على أن العقل الباطن للسياسيين البريطانيين على الاقل فى ذلك الوقت كان يربط بين الاحداث فى مصر وأحداث السودان .

لقد كانت الاحداث المرتبطة بمقتل السردار والاجراءات التى اتخذتها السلطات البريطانية فى أعقابها سواء مايتعلق منها باخراج جنود وضباط الجيش المصرى فى السودان أو ما أتخذ من اجراءات القمع لمن عرف عنهم انتماوهم لجمعية اللواء الابيض أو غيرهم من الوطنيين السودانيين - كفيلا باضافة المزيد من الوقود على الثورة المتأججة فى النفوس وأدى هذا لا كبر حركات الصدام التى واجهتها الادارة الانجليزية فى السودان من المدنيين والعسكريين السودانيين .

وهكذا يمكن القول أن ثورة ١٩٢٤ التى اشترك فيها عدد كبير من السودانيين سواء من المنضويين تحت لواء جمعية اللواء الابيض أو غيرهم من الوطنيين الذين كانوا يعبرون عن المشاعر والاحاسيس التى تجول بخاطر كل سودانى مخلص . كانت

نتيجة طبيعية للظروف التى كان يمر بها السودان نتيجـــــة للسياسة التى انتهجتها الإدارة البريطانية تجاه مطالب المصريين والسودانيين فى مصر والسودان، ولذا كانت الظروف والا حـداث التاريخية قد عجلت بانفجار الثورة فى مصر فى عام ١٩١٩ فـان الاحداث لم تلبث بعد ذلك ان ادت لنفس النتيجة فى السودان، وان كانت انجلترا قد استطاعت لفترة بعد ذلك ان توجـــــه شئون السودان بما يحقق مصالحها واهدافها ، لكن لاشـــك ان ثورة ١٩٢٤ فى السودان وما دفعه السودانيون من ثمن فـى هـذه الثورة لم يضع هباء ، فقد كانت تلك الثوره حلقـــة هامـــة فى سلسلة النضال الوطنى الذى ظهرت ثمرته فيما بعد فـــى الاعتراف بحق السودانيين فى تقرير المصير وفى ممارستهم لـــه ممارســة فعليـــة •

مكتبـــة البحـث

أولا - مصـــادر أصليـــــه

١- جمهورية مصر ، رئاسة مجلس الوزراء
السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣
(القاهرة ١٩٥٣)

٢- سفر الولاء - التلغرافات والعرائض التى رفعت الى حاكـــم
عام السودان من رجال الدين والاعيان اعرابا عـــــن
ولائهم لبريطانيا (الخرطوم ١٩١٥) ٠

٣- Central Records Office Khartoum-Report of Ewart Committee (Khartoum 1925)

٤- Central Records, Khartoum - Sudan Monthly Intelligence Report (January 1920)

٥- Central Records, Khartoum - Sudan Monthly Intelligence Report (Nov. 1920)

٦- Sudan Intelligence Reports Nos. 60-304
(May 1898 - Nov. 1919)
(Dec. 1919 - Dec. 1924).

(٧) Parliamentary Debates Vol. LXXX Session 1916

(٨) Parliamentary Debates Vol. 175 Session 1924

(٩) Parliamentary Debates Vol 181 Session 1926

ثانيا : مرجع باللغة العربيـــة

١- بابكر ، مبارك الريح : ثورة ١٩٢٤ السودانية (أم درمان ١٩٥٧)

٢- بخيت ، جعفر محمد على : الادارة البريطانية والحركة الوطنيـــة فى السودان ١٩١٩ - ١٩٣٦ (بيروت ١٩٧٢)

٣- بشير ، محمد عمر : تطور التعليم فى السودان ١٨٩٥-١٩٥٦ (١٩٧٠)

٤- الجمل ، شوقى عطا الله : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصـــر جـ ٣ (القاهرة ١٩٨٠)

٥- الرافعى ، عبد الرحمن : ثورة ١٩١٩ جـ ١ (١٩٤٦)

٦- رمضان ، عبد العظيم محمد : تطور الحركة الوطنية فى الســودان من سنة ١٩١٨ الى ١٩٣٦ (القاهرة ١٩٦٨)

٧- السيد ، عبد الكريم : اللواء الابيض - ثورة ١٩٢٤ مذكرات ومشاهدات سجين (الخرطوم ١٩٧٠)

٨ـ شبيكه، مكى : العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى (بيروت ١٩٧٠)

٩ـ شكرى ، محمد فو اد : مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل فى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٥٨)

١٠ـ شفيق ، احمد : حوليات مصر السياسية جـ ١ (١٩٢٦)

١١ـ غربال ، محمد شفيق : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) القاهره (١٩٥٢)

١٢ـ كشه ، سليمان: سوق الذكريات جـ ١ (الخرطوم ١٩٦٣)

هوامـــــــــــــــش

(١) يذكر فى هذا الصدد مثلا - ماعلقت به صحيفة النيويورك هيرالد على افتتاح قناة السويس فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ اذ قالت ان قنـاة السويس قد قربت اكتشافات سبيك، وجرانت وبيكر ، وبيرتـــون، ولفنجستون حول المنابع الاستوائية للنيل من متناول الاستعمـــار البريطانـــى ٠

(٢) السير ايفيلين بارنج ممثل انجلترا فى مصر فى هذه الففتـــره ولفتره طويلة والذى اصبح فيما بعد اللورد كرومر يصفه الكاتب والشاعـر الانجليزى بنت صاحب الكتاب المشهور عن " التاريـخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر" - بأنه كان من اسره اشتهـرت بممارسة الصيارف وهو من عنصر يهودى قد اشتهر بالفظاظـــة وكان رغم تصرفاته يفتقر للتحرر من قيود الرسميات وكـــــان يتشبث بالحرص والسلبية اللذين يسودان عالم الرسميات لكنـــه كان اداريا ماهرا حصل على لقب لورد فأصبح اسمه منذ ١٨٨٢ لورد كرومر وقد عاد من مصر عام ١٩٠٧ بعد حادث دنشـــواى ومات بالانفلونزا عام ١٩١٧ وهو فى السادس والسبعين مـــــن عمـــره ٠

(٣) Wingate. F.R. Mahdism and the Egytian Sudan (London 1891) P. 117.

(٤) Sanderson, G.N. : England, Europe & the Upper Nile (1965) PP. 103-110.

(٥) للدراسة التفصيلية للعوامل التى أدت لتقرير سياسة استرداد السودان كما اطلق عليها يرجع الى الجمل، شوقى عطا الله : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر ج ٣ (١٩٨٠) ص ١٤١ ومابعدها

Abbas, Mekki: The Sudan Question The dispute over over the Anglo-Egyptian Condominium (1884-1951) P. 43

(٧) شكرى محمد فوءاد : مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل فى القرن التاسع عشر (١٨٢٠ ـ ١٨٩٠) القاهرة (١٩٥٨) ص ٥٠٢ ، ٥٠٣

(٨) Magnus, Philip: Kitchener: Portrait of an Imperialist (London 1958) P. 116.

(٩) لمن يريد المزيد عن ظروف ومقدمات عقد هذا الاتفاق ومواده (مقدمه واثنى عشر مادة يرجع الى :
الجمل، شوقى : مرجع سابق ص ١٧٥ ومابعدها ٠

(١٠) Cromer, The Earl of: Modern Egypt (London 1971) P. 32.

(١١) Warburg, G.: The Sudan Under Wingate (London 1971) p. 32.

(١٢) من يريد الاطلاع على تفاصيل هذه الثورات ومركز الادارة منها يرجع الى مجموعة تقارير المخابرات السودانية في دار الوثائق المركزية بالخرطوم عن الفترة من (١٨٩٨ ـ ١٩١٩) .

(١٣) لمزيد من التفاصيل عن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية انظر :
الرافعي، عبد الرحمن : ثورة ١٩١٩ (١٩٤٦) ج ١ ص ١١ ومابعدها .

(١٤) يرجع لمجموعة العرائض والتلغرافات والرسائل التي رفعها كبار رجال الدين والاعيان في السودان لحاكم عام السودان تعبيرا عن ولائهم لحكومة السودان ولبريطانيا ـ وهي ماعرفت باسم (سفر الولاء) وقد جمعت في ادارة جريدة السودان وطبعت في الخرطوم (١٩١٥)

(١٥) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :
شبيكه ،مكي : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى (بيروت ١٩٧٠)

(١٦) Theobald, A. B.: Ali Dinar, Last Sultan of Darfur (1898-1916) London 1960.

(١٧) Wingate, Sir R.: Wingate of the Sudan P. 214.

(١٨) The Parliamentary Debates, Fifth Series, Vol. LXXX (First Volume of Session 1916 House of Commons 9.3.1916, P. 1.

(١٩) Holt, P. M.: A Modern History of the Sudan P. 127.

(٢٠) رمضان، عبد العظيم : تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ حتى ١٩٣٦ (١٩٦٨) ص ٨٨ ومابعدها •

(٢١) شفيق، احمد: حوليات مصر السياسية ج ١ (١٩٢٦) ص ٢٠٦ ومابعدها •

(٢٢) بابكر ، مبارك الريح : ثورة ١٩٢٤ السودانية (أم درمان ١٩٥٧)

(٢٣) شفيق، احمد : مرجع سابق ج ١ ص ٣٥١ ومابعدها •

(٢٤) Magnus, P. Op. Cit. P. 145.

(٢٥) بشير ، محمد عمر : تطور التعليم فى السودان ١٨٩٨ ـ ١٩٥٦ (١٩٧٠) ص ٨١ ومابعدها •

(٢٦)) نفس المرجع ص ١٠٣ ومابعدها .

(٢٧) Central Records Office, Khartoum Intel. 1/8/39

(٢٨) كشه ، سليمان : كيف تأسس نادى الخريجين بأم درمان (مجلـــــة الخرطوم العدد ٢ ، نوفمبر ١٩٦٦)

(٢٩) Central Records Office Khartoum Report of Ewart Committee Khartoum 21/4/1925.

(٣٠) Central Records Office, Khartoum Sudan Monthly Intelligence Report (January 1920).

(٣١) ملنر من رجال الاحتلال القدماء كان مستشارا ماليا للحكومة المصرية من خمس وعشرين سنة خلت ، وكتابه (انجلترة فى مصر) من المراجع الهامة عن سياسة الاحتلال . وعن اعضاء اللجنه واتجاهاتهم - انظـــر غربال ، محمد شفيق : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ (١٨٨٢-١٩٣٦) (١٩٥٢) ص ٦١ .

(٣٢) للوقوف على التفاصيل الدقيقه الخاصة بهذه الاحداث يرجع الى غربال مرجع سابق ص ٨١ ومابعدها .

(٣٣) رئاسة مجلس الوزراء ، جمهورية مصر والسودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير (١٩٥٣) ص ١٠ ومابعدها .

(٣٤) غربال : مرجع سابق ص ١٢٥ ومابعدها .

(٣٥) Mudather, Abd El Rahim: Imperialism & Nationalism in the Sudan (1969) PP.98-99.

(٣٦) انظر حضارة السودان العدد ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٧ .

(٣٧) كشه ، سليمان : وثيقة السودان الاولى (أسرار ووثائـــــق تاريخيه) ١٩٦٥ ، ص ٣٢ .

(٣٨) كشه ، سليمان : سوق الذكريات ج ١ (١٩٦٣) ص ٥٩ .

(٣٩) Sudan Monthly Intelligence, Report (November 1920) No. 316.

(٤٠) حضارة السودان - العدد ١٦ فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٠ والاعـــداد التاليـــه .

(٤١) كشه ، سليمان : اللواء الابيض ص ٤ ومابعدها .

(٤٢) انيس ، محمد : حركة اللواء الابيض بعد ٥٠ عاما فى السودان ومصر (الاهرام ٢٩ يونيو ١٩٧٣) .

(٤٣) المهدى ، سعيد محمد احمد : وقائع محاكمة قادة جمعيـــة اللواء الابيض (الصحافة اول مايو ١٩٧٤) .

(٤٤) كشه ، سليمان : اللواء الابيض (١٩٦٩) ص ٢٦ .

(٤٥) كشــه ، سليمان : اللواء الابيض ص ٧ ومابعدها ٠

(٤٦) بخيت ، جعفـر : مرجع سابق ص ٨٦ ٠

(٤٧) عبد الكريم السيد : اللواء الابيض ثورة ١٩٢٤ مذكرات ومشاهدات سجين (١٩٧٠) ص ١٤ ومابعدها ٠

(٤٨) بخيت ، جعفر : مرجع سابق ص ٩٤ ٠

(٤٩) Parliamentary Debates, House of Commons, Vol. 175, (Session 1924).

(٥٠) رئاسة مجلس الوزراء المصرى: السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الـــى ١٢ فبراير ١٩٥٣ (١٩٥٣) ص ٢١ ومابعدها ٠

(٥١) رئاسة مجلس الوزراء - جمهورية مصر : مرجع سابق ص ٢٢ ٠

(٥٢) نفس المرجع الســـابق ص ٢٤ ٠

(٥٣) نفس المرجع السابق ص ٢٥ ٠

(٥٤) نفس المرجع السابق والصفحة السابقة ٠

انظر الرافعى ، عبد الرحمن: فى اعقاب الثورة المصرية جـ ١ ص ١١٩ ٠

(٥٥) ملاحظات استنكرت جمعية اللواء الابيض فيما بعد الحادث باعتبار انه لايخدم المبادىء التى تنادى بها - انظر :

أنيس محمد : مصرع السردار فى القاهرة وحركة اللواء الابيـــض (الاهرام يوليو ١٩٧٣)٠

بريطانيا ومصر "وثورة" ١٩٢٤ فى السودان

د ٠ حسن عابديـــــــن

شهد السودان خلال النصف الثانى من عام ١٩٢٤ أحداثا سياسية وعسكرية يشار اليها مجتمعة فى دراسات تاريخ السودان المعاصــــر "بثورة ١٩٢٤" ٠ وتعتبر وقائع تلك "الثورة" من الناحيتين الفكريـــة والسياسية البداية الباكرة للحركة الوطنية السودانية الحديثة الداعيـــة للتحرر والاستقلال من السيطرة والادارة الاجنبية (البريطانية) ٠ ومن ناحية أخرى فان نتائج تلك الاحداث وأصداءها كانت نقطة تحول فى التاريخ السياســـى والادارى للسودان بعد الحرب العالمية الاولى وبداية مرحلة جديدة فـــى العلاقات البريطانية المصرية باعتبار كل من بريطانيا ومصر شريكا فى السلطه والسيادة على السودان وفقا لمعاهدة عام ١٨٩٩ بين الدولتين ٠ وقـــد نشـأ بموجب هذه المعاهدة نظام الحكم الثنائى البريطانى - المصرى لادارة السودان وحرصت بريطانيا منذ البداية على الاستئثار بجوهر السلطة الاداريـــة والمالية والعسكرية بينما آلت على مصر بعض مظاهر السيادة وشغل الاداريون والعسكريون المصريون المناصب الثانوية فى ادارة السودان ٠

ولئن كان اغتيال السير لـى استاك حاكم عـــام الســـودان وسردار الجيش المصرى فى القاهرة يـــوم ١٩ نوفمبـــر ١٩٢٤ السبـــب المباشر الذى دفـع بطرفـــى النزاع - بريطانيا ومصـــر - الـى حافـــة

المواجهة والعنف فان احتمالات هذه المواجهة وعناصر الا زمة السياسية ظلت كامنة منذ السنوات الا ولى لنظام الحكم الثنائى وخاصة فى اعقاب الحرب العالمية الا ولى . وكانت أهم النتائج المباشرة لاغتيال السردار قرار بريطانيا باجلاء الفرق العسكرية المصرية من السودان، وما تبع ذلك القرار من مقاومة بعض هذه الفرق - المصرية والسودانية على السواء - ورفضها الانصياع لاجراءات الجلاء مما سنأتى على ذكره فى شيء من التفصيل فى الجزء الثانى من هذا البحث . هذا فضلا عن ماجرى من تغيير وتبديل فى نظم الحكم والادارة البريطانية فى السودان بعد عام ١٩٢٤ وهو تغيير - كما سنرى - لم تفرضه الا حداث نفسها بل كانت الفرصة السانحة والتوقيت المناسب لتطبيقه بعد أن ظل سياسة مرسومة اكتملت عناصرها منذ سنوات خلت .

لقد درج بعض الذين كتبوا عن تاريخ الادارة البريطانية فى السودان المعاصر على تفسير وارجاع ماطرأ من تغيير على السياسة البريطانية فى ادارة السودان عقب "ثورة ١٩٢٤ " لا حداث ذلك العام وأن الاتجاه نحو تكريس نظام الادارة الا هلية بتثبيت دعائم السلطة القبلية لم يكن سوى رد فعل يعبر عن فقدان الثقة فى طائفة من الرعيل الا ول من المتعلمين والمثقفين السودانيين الذين كان لهم الصوت الا على فى مناهضة الحكم

البريطاني في السودان، وكان لهم الدور الاكبر في اذكاء روح التعاطف والتضامن مع الحركة الوطنية في مصر بعد ثورة ١٩١٩ المصرية (١) ٠

الا أن وتيرة السياسة البريطانية ووثائقها الاولية تشير الى غير ذلك بل تؤكد أن أحداث عام ١٩٢٤ لم تكن - كما أسلفنا - سوى اللحظة المناسبة لاتخاذ الاجراءات العملية لتنفيذ سياسة فصل السودان اداريا وعزله سياسيا عن مصر٠ وترجع جذور هذه السياسة الى عام ١٩١٧ عندما استحدث رينالد ونجت - ولم تمض على تركه منصبه حاكما عاما للسودان (١٩٠٠ - ١٩١٦) شوى أشهر قلائل - شعار السودان للسودانيين وهو الشعار الذى كان يستبطن فكرة الفصل والعزل وليس نظرية الاستقلال وحق تقرير المصير التى عناها فيما بعد وخلال المرحلة الثانية من تطور الحركة الوطنية السودانية بعد الحرب العالمية الثانية (٢) ٠ فقد كتب ونجت يقول :

> " أصبح جليا الان أن مشاعر العداء والنفور بين السودانيين والمصريين عميقة بدرجة ليس من السهل استئصال شأفتها ولهذا فان التدرج فى بث فكرة السودان للسودانيين لهو أفضل سياسة تلائم أوضاع البلاد (السودان) ٠٠٠ ومما يشجع على اتباع هذه السياسة قيام كلية غردون والمدرسة الحربية على تدريب السودانيين واعدادهم وتأهيلهم لشغل الوظائف الدنيا فى الاداره والجيش ٠٠٠٠ الا أن هذا الاتجاه نحو

(السودنة) يجب أن يشجع بشيء من الكياسه
والحذر حتى لايثير مشاعر المصريين ومخاوفهم ٠٠٠"(٣)

وبعد شهر واحد من اندلاع ثورة ١٩١٩ فى مصر عاد ونجت مرة اخرى يلح فى الدعوة الى سياسة الفصل الادارى والعزل السياسى فكتب يقول :

" أننى اتجاسر واعبر عن املى أن يسمح للحاكم العام اعادة تأكيد نية حكومة جلالة الملك بأن تتعهد بالاسهام بنصيب أكبر فى ادارة السودان ٠٠٠ بل اننى أذهب أبعد من هذا وأقترح أن تتحمل حكومة جلالة الملك مسؤولية ادارة السودان وحدها بشكل واضح اذا ماوجدت الفرصة المناسبة لذلك ٠٠٠ وبذلك يتم ابعاد الجانب المصرى المكروه ومعاقبة الوطنيين المصريين الذين حصلوا على المكاسب عن طريق الفوضى والنهب والقتل (اشارة الى احداث ثورة -١٩١٩) بتجريدهم من قطر أساءوا حكمه ٠٠٠ ولم يستطيعوا استرداده الا بمساعدة بريطانيا التى جعلت السودان كما هو اليوم بلادا لها مستقبل زاهر وفائدة للامبراطورية البريطانية استراتيجيا وماديا ٠٠٠"(٤) ٠

وعبر اللورد آلنبى الذى خلف ونجت فى منصب المندوب السامى البريطانى فى مصر فى مذكرة بعث بها الى وزارة الخارجيه البريطانيه عقب زيارته للخرطوم فى مطلع عام ١٩٢٠ عن نفس الاتجاهات والسياسة التى بشر بها سلفه وجاء فى تلك المذكره :

"لقد دهشت أثناء زيارتى للسودان للحماسة التى ابدتها طبقات السكان الوطنيين المختلفة من رغبة واضحة بتفضيل الادارة البريطانية على الادارة المصرية ..." ثم استطرد آلنبى يقول بعد أن اثنى على موقف زعماء القبائل والطوائف الدينية المؤيد لاستمرار بريطانيا فى تولى أمر السودان :

" ... أرى ان الوقت قد حان لحسم وضع السودان وعلاقته بالامبراطورية بشكل قاطع . فاذا مافشلنا فى ايجاد متنفس للحماسة الحالية - وهذه فرصة مواتيه لتحديد وضع السودان تحت رعاية بريطانيا - اذا فشلنا فى ذلك ارى أن الا وضاع سوف تقودنا الى متاعب فى المستقبل أن لم تدهمنا هذه المتاعب الان ..." وطفق اللورد آلنبى يقترح اجراءات عملية تستهدف تكريس السيطرة البريطانية على السودان وأهمها ابرام معاهدة بريطانية مصرية جديدة تجب معاهدة ١٨٩٩ ولكنها تضمن لمصر مصالحها الحيوية فى السودان وهى كما حددها آلنبى حماية حدود مصر الجنوبية وتأمين حصتها من مياه النيل مقابل انفراد بريطانيا بالسلطة فى ادارة السودان وفى هذه الحالة يتم فصل منصب سردار الجيش المصرى عن منصب حاكم عام السودان ليتولى الا خير مسؤ وليات القيادة العسكرية للفرق المرابطة فى السودان ويعيين سردار مستقل

للجيش المصرى يكون مقره القاهرة [٥] ٠

أما المرحلة الاخيرة من سياسة فصل السودان اداريا عن مصر وعزله عن تياراتها الفكرية والسياسية فقد ارتبطت بما جاء فى تقرير لجنة اللورد ملنر عام ١٩٢٠ والتى افردت قسما خاصا منه للسودان [٦] ٠ ولما كان موضوع السودان يخرج عن الاختصاصات الا صيلة لاعمال اللجنة ـ وهى اقتراح المستقبل الدستورى لمصر ـ فقد حرصت اللجنة على التأكيد بأن ماورد فى التقرير عن السودان لايعدو التنبيه بأن مقترحات اللجنة تقتصر على مصر ويجب الا تؤثر على النظام السياسى والدستورى فى السودان ٠

أوصت لجنة ملنر بعد مقدمة طويلة عمدت فيها الى ابراز الفوارق التاريخية والسياسية والثقافية بين مصر والسودان وسوق المبررات لسياسة الفصل بأن لايسمح للمستجدات الدستورية على وضع مصر بالتأثير على الوضع السياسى القائم فى السودان ولِن تظل معاهدة الحكم الثانى لعام ١٨٩٩ القاعدة الدستورية لعلاقة الدولتين فيما يخص السودان ٠ الا ان هذا الالحاح على فصل المسألة السودانية عن المسألة المصرية لم يمنع اللجنة من تقديم مجموعة من التوصيات حول مستقبل الحكم والادارة فى السودان فاقترحت اللجنة فى ملحق خاص أرفق بالتقرير الرئيسى ضرورة ادارة السودان بصورة مستقلة عن مصر وتخفيض عدد

قوات الجيش المصرى العاملة فى السودان كما اوصت باتبـــاع سياسة التعاون والتحالف مع زعماء القبائل والاعتمـــاد عليهـــم فى ادارة مناطقهم فى ظل الاشراف البريطانـــى وهـــو ما عـــرف فيما بعد بنظام الاداره الاهليـــه (٧) ٠

الا أن هذه السياسه - سياسة الفصل الادارى والعزل السياسى - قد تبلورت بصورة أوضح خلال العامين الاخيرين مـــن ولايـــة السير لى ستاك (١٩٢٢ - ١٩٢٤) حاكم عام السودان وهى الفتـــرة التى شهدت ذروة من ذرى النزاع السياسى والدبلوماسى بيـــن بريطانيا والحركة الوطنية المصرية بقيادة حزب الوفد حـــول استقلال مصر ومستقبلها الدستورى (٨) ٠ ومن نافلة القول أن نقـــرر أن مسألـــة السودان" أصبحت بعد الحرب الاولى العقبة الكأداء فى طريق العلاقات المصرية البريطانية بعد اعلان بريطانيا استقلال مصر من جانب واحد وفقا لتصريح فبراير ١٩٢٢ ٠

وليس من أغراض هذه الدراسة البحـــث فـــى الاعتبارات الدبلوماسية والمتغيرات السياسية التى أملـــت علـــى بريطانيـــا الاستجابـــة الجزئيـــة لمطالب الوطنيين فى مصر ٠ ولكن نشيـــر هنا الى أن من أهم ما جاء فى التصريح ارجاء تسويـــة مسألـــة السودان وتحديد علاقته بمصـــر دستوريا الى مفاوضـــات مستقبلية

أو اعتباره كما جرى التعبير عن ذلك فى وثائق التفاوض ومحاضره من المسائل "المتحفظ عليها" وهى - اضافة للسودان - حق بريطانيا فى تولى مسؤوليات الدفاع عن مصر ومايتبع ذلك من تمتعها بحقوق استخدام المنشآت العسكرية المصرية من مطارات وموانىء وطرق، وضمان سلامة خطوط المواصلات الامبراطورية وخاصة فى قناة السويس ورعاية المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الاقليات (نظام الامتيازات العثمانى) [(٩)] .

ولكن تحفظ بريطانيا على مسألة السودان وارجاء تسويتها لم يكن يعنى فى واقع الامر سوى تهدئة الخواطر السياسية والارضاء الزائف للتطلعات المصرية نحو السودان وحقوق مصر المزعومة فيه والتى ظلت تحتل موقع الصدارة فى مطالب الحركه الوطنيه بزعامة حزب الوفد . أوليس سعد زغلول هو القائل بأن "السودان ألزم لمصر من الاسكندريه ..." [(١٠)] .

تمثل رد فعل طائفة من المتعلمين السودانيين لسياسة الادارة البريطانية الرامية الى الانفراد بالسلطة فى السودان وعزله اداريا وسياسيا من مصر فى عدة مظاهر للمقاومة السياسية والنشاط المعادى للسلطة القائمة . فقد نشطت تنظيمات وقيادات الحركة الوطنية الناشئة خلال النصف الثانى من عام ١٩٢٤ كما اسلفنا فى مقدمة هذا البحث، فنظمت جمعية اللواء الابيض عددا

من المظاهرات كانت الاولى منها ـ وهى أول مظاهرة فى تاريخ السودان المعاصر ـ يوم ١٧ يونيو احتجاجا على منع السلطات لوفد الجمعية من السفر الى القاهرة للتعبير عن رفض السودان للحكم البريطانى وتأكيد ولائهم لفكرة وحدة وادى النيل • وفى أعقاب المظاهرة الثانية يوم ١٩ يونيو أصدر مدير الخرطوم بالانابة أمرا بحظر المواكب والتجمعات الا أن قادة اللواء الابيض تجاهلوا الامر وقادوا مواكب اخرى خلال نفس الاسبوع اتسمت بطابع العنف وأثارت شيئا من التوجس والخوف بين أفراد الجاليات الاوروبيه بالخرطوم وخاصة عندما اعتدى بعض المتظاهرين على حوانيت يملكها بعض صغار التجار من الايطاليين واليونانيين (١١) •

ومن المظاهر الاخرى لهذا النشاط التعبوى السياسى الذى نظمته وقادته جمعية اللواء الابيض للتعبير عن التضامن السودانى المصرى خلال صيف عام ١٩٢٤ ارسال برقيات الاحتجاج على السياسة البريطانية فى السودان • وقد جاء فى احدى هذه البرقيات :

"أن جمعية اللواء الابيض ترفض بشدة ماجاء على لسان بعض المسؤولين البريطانيين حول الحقوق المزعومة لبريطانيا فى السودان • لن يقبل السودانيون بالخطط الامبريالية

والمشروعات الاستعمارية التى تهدف الى ضم السودان بالقوة الى الامبراطورية البريطانية ... أن (سياسة) الفصل (فصل السودان عن مصر) تعنى الموت لمصر والسودان ... "[١٢] .

ولم يقتصر هذا النشاط السياسى على الخرطوم وحدها بل امتد الى مجموعة من المدن الهامة وعواصم المديريات فنظمت فروع جمعية اللواء الا بيض مظاهرات مماثلة فى كل من الا بيض وشندى ومدنى وبورتسودان .

ونتيجة لهذا التصاعد فى وتيرة الحركة السياسية تم اعتقال عدد من قيادات اللواء الا بيض وتقديمهم للمحاكمة . ومما اضفى على هذه الحالة السياسية المزيد من أسباب التوتر وأثار مخاوف الاداريين البريطانيين بوادر العصيان وروح التمرد التى بدأت تسرى بين صفوف العسكريين السودانيين عندما استشرى أسلوب المظاهرات العسكرية بدءا بالموكب الذى نظمه طلاب المدرسة الحربية بكامل أسلحتهم وجابوا به شوارع الخرطوم فى التاسع من اغسطس ١٩٢٤ . وبالرغم من ان التذمر فى أوساط هذه المجموعة من العسكريين يرجع فى جوانب منه الى أسباب تتصل بأوضاعهم المهنية من ترقيات ورواتب الا أن ما أعقب المظاهرة من تحر وتحقيق فى دوافعها أشار الى نوايا الطلاب الوطنية ومعتقداتهم السياسية فقد علق مدير الخرطوم بالانابة

- ويزى ستيـــرى - على المظاهرة بقولـــه :

" ظلت المدرسة الحربية قبل هذه الحادثة (المظاهرة) اكثر الوحدات العسكرية نظاما وو لاءا ... الا أن روح التحدى التـــى أظهرها الطلاب والسرية التى نفذوا بها هذه المؤ امرة ماهـــى إلا نتيجة لعمل دعائى بارع وناجح لا بعد الحدود موجه ضـــد بريطانيا "(١٣) .

وتشير محاضر محاكمة الطلاب العسكريين امام مجلس عسكرى ايجازى وكان عددهم ٥١ طالبا الى دوافعهم السياسية بصـــورة أوضح . فقد اتفق الطلاب على الادلاء ببيان موحد امام المحكمـــة جـــاء فيـــه :

" لقد كنا نتابع المحاولات التى ترمى الى فصل الســـودان عن مصر وتقسيم وادى النيل ولم تغب عنا مظالم الاستعمـــار الواقعة على البلاد ... ولهذا قررنا التظاهر للتعبيـــر عـــن إحتجاجنا ... "(١٤) وصدر الحكم بالسجن ثمانى سنوات على اربعـة وثلاثين طالبا وتفاوتت الاحكام على الآخرين بيـن السجن فتـرات أقل والبـــراءة .

الا أن تقريرا للمخابرات أنحى باللائمة علـــى الضبـــاط

المصريين المشرفين على المدرسة الحربية بتحريض الطلاب على التظاهر والتحدى .(١٥)

ولكن هذه المحاكمات وقسوة الاحكام التى صدرت فى حق الطلاب العسكريين لم تكن رادعة فيما يبدو لا ثناء وحدات عسكرية اخرى عن دخول حلبة الصراع السياسى فاستشرت ظاهرة المظاهرات العسكرية وتمرد الضباط والجنود فى الفرق العسكرية السودانية والمصرية وربما كان من اكبرها حجما وأخطرها أثرا من الناحية السياسية تمرد وحدة السكة الحديد المصرية فى عطبرة فى العاشر من اغسطس والتى شارك عدد من افرادها فى مظاهرة للاحتجاج على اعتقال احد قادة ومؤسسى جمعية اللواء الا بيض - صالح عبد القادر - أثناء مروره بعطبره فى طريقه الى المعتقل ببورتسودان . واتسع نطاق المظاهرة فى اليوم التالى بانضمام مجموعات جديدة من سكان عطبرة وعمد المتظاهرون الى تخريب بعض مرافق الصيانة فى السكة الحديد ولم تتم السيطرة على الموقف الا باطلاق النار على المتظاهرين مما أسفر عن مقتل أربعة اشخاص واصابة احد عشر آخرين . ومما يشد الانتباه الى أحداث عطبرة الطابع السياسى للمظاهرة حيث ردد الهاتفون شعارات الولاء للتاج المصرى وللملك فؤاد "ملك مصر والسودان" ولسعد زغلول "زعيم الا مة" كما حرص

البعض على خلع العلم البريطانى من مقر رئاسة السكة الحديد (١٦)

وشهدت واو عاصمة مديرية بحر الغزال بجنوب السودان فى أواخر أغسطس عام ١٩٢٤ مظاهرة عسكرية اخرى نظمها قادة الكتيبة الثالثة عشرة من الضباط المصريين والسودانيين الذين جعلوا من رفع العلم المصرى بطريقة خاطئة فى مقر وحدتهم ذريعة للاحتجاج على ما اعتبروه إساءة لمصر ولشرفها العسكرى . وردد المتظاهرون شعارات معادية لبريطانيا وأسفر التحقيق عن ادانة ستة من الضباط السودانيين وطردهم من الخدمة وكان من بينهم الملازم أول زين العابدين عبد التام أحد اعضاء جمعية اللواء الابيض .

وخلال شهرى سبتمبر واكتوبر امتدت عدوى المظاهرات العسكرية الى الفرق المصرية والسودانية فى كل من الابيض وتالودى وكسلا ومدنى . الا ان تمرد الكتيبة السودانية الحادية عشرة فى الخرطوم يوم ٢٧/نوفمبر ١٩٢٤ كان آخر المظاهرات العسكرية وأخطرها اثرا واثارة للاجتهادات والتفسيرات حول دوافع المتمردين واهدافهم سيما وان هذا التمرد قد اصبح راسخا فى الذاكرة الشعبية الوطنية على أنه هو "ثورة ١٩٢٤" . ولكن يجب النظر لهذا التمرد فى ضوء روح التمرد والعصيان التى سرت بين صفوف العديد من الفرق العسكرية السودانية والمصرية مما سبقت الاشارة اليه .

لقد وقع التمرد بعد أقل من اسبوعين من اغتيال السير لى ستاك وكنتيجة مباشرة لما ترتب على حادثة الاغتيال من إجراءات اتخذتها الحكومة البريطانية ومن أهمها قرار جلاء القوات المصرية من السودان • وشاءت الاقدار ان يكون "الاجراء الحاسم" الذى ظل ستاك يدعو حكومته لاتخاذه والانفراد بالسلطة فى ادارة السودان هو اغتياله نفسه (١٧) •

شارك فى مظاهرة الكتيبة الحادية عشرة ستون من الجنود والضباط السودانيين بقيادة الملازم اول عبد الفضيل الماظ وسرية اخرى بقيادة الملازم ثانى سيد فرح وانضم لهذه القوة المشتركة اربعة ضباط آخرين هم الملازم اول سليمان محمد والملازم ثانى ثابت عبد الرحيم والملازم ثانى على محمد البنا والملازم ثانى حسن فضل المولى • وتزودت المجموعة ببعض الذخائر والاسلحة التى غنمتها من مدرسة الرماية بأم درمان •

سارت هذه الوحدات فى اتجاه جسر النيل الازرق فى طريقها الى الخرطوم الشمالية (الخرطوم بحرى) فاعترضتها بالقرب من المستشفى العسكرى غرب الجسر قوة بريطانية بقيادة هدلستون باشا الحاكم العام بالانابة وسردار الجيش المصرى والذى أمر القوات المتمردة بالعودة الى ثكناتها فلم يذعن المتمردون للاوامر مؤكدين انهم لن يأتمروا الا بأمر الاميرلاى

احمد بك رفعت قائد قوات المدفعية بالخرطوم بحرى وأعلى الضباط المصريين رتبة . ونشبت خلال ليلة ٢٧ نوفمبر وفجر اليوم الثانى معركة ضارية استخدمت فيها القوة البريطانية المدافع القاذفة والبنادق سريعة الطلقات بعد ان اعتصمت القوة السودانية بمبانى المستشفى وأسفر القتال عن كسر شوكة التمرد ومقتل قائده الملازم عبد الفضيل الماظ واثنى عشر من جنوده . وقتل من الجانب البريطانى ثلاثة ضباط بريطانيين وأربعة ضباط مصريين وسوريين من ضباط السلاح الطبى وثلاثة عشر جنديا بريطانيا من رتب مختلفة (١٨) .

ليس هناك من المصادر الاولية الاجنبية او السودانية ما يشير الى أن هذا التمرد كان محاولة عسكرية للاستيلاء على السلطة وتغيير نظام الحكم بالتعاون والتنسيق بين الفرق السودانية والمصرية . فبالرغم من روح التحدى والفداء التى تحلى بها قادة التمرد من الضباط السودانيين واستبسالهم فى المقاومة أمام قوة عسكرية لم تكن تخفى عليهم - كعسكريين - مظاهر وحقيقة تفوقها سلاحا وعددا بالرغم من كل ذلك واجهوا مايمكن ان نسميه خيارا فرض عليهم للدفاع عن النفس عندما بادرت قوات هدلستون باشا باطلاق النار بعد رفض القوة السودانية الانصياع لاوامر السردار . ومايزال المرء يعجب كيف لم يلجأ السردار الى وسائل اخرى لاثناء السرايا المتمردة

عن تحديها للاوامر ؟ وربما يعود السبب الى خشيته من انضمام هذه القوات الى القوات المصرية المرابطة فى الخرطوم بحرى فى اطار تخطيط مشترك ومسبق سيما بعد أن أكد قائد المتمردين الملازم أول الماظ ان قواته لن تنصاع الا لامر صادر من الاميرلاى أحمد رفعت قائد قوات المدفعية فى الخرطوم بحرى كما أسلفنا ٠

الا ان هذا الاصرار من قبل القوة السودانية لاينهض وحده دليلا على تدبير مشترك او تنسيق مسبق بالرغم من ان لجنة التحقيق فى أسباب التمرد قد خلصت الى ان "وعدا ما" قد بذلته القوات المصرية للمتمردين بأن تهب الى نجدتهم فى حالة الصدام مع أى قوة بريطانية ٠ لكن لجنة التحقيق لم تتوصل فى تقريرها الى بيانات قاطعة فى هذا الشأن ٠

ويذكر الاميرلاى أحمد رفعت فى تقرير عسكرى مطول بعنوان "اخلاء السودان" ماينفى صلة قواته بتمرد القوات السودانية من أفراد الكتيبة الحادية عشرة ٠ يقول الاميرلاى احمد رفعت :

"وعندما ابتدأ اطلاق النار بينهم (القوات البريطانية) وبين السودانية كانوا يتوهمون طبعا قرب هذا الاشتباك وكان يجب عليهم التفكير قليلا فى قلة جبخانتنا (ذخيرتنا)

وسوء موقعنا البعيد من الستر والاستتار اللذين يعلمونهما جيدا ولكن يظهر ان ماحصل من السودانيين لهم كان فجائيا دون حساب (وما حصل فى ضواحى السودان كتلودى وخلافها (المظاهرات العسكرية) جعل عندهم الاضطراب الفكرى ... "[١٩] .

ويؤكد الملازم سيد فرح أحد قادة تمرد الكتيبة الحادية عشرة والذى تمكن من الهرب الى مصر عقب القضاء على التمرد انه لم يكن هناك اى نوع من الاتصال او التنسيق مع القوات المصرية " ولكننا توقعنا منهم المساعدة "[٢٠] بعد اندلاع القتال .

ان ماقامت به فرقتا الكتيبة الحادية عشرة لم يكن سوى مظاهرة عسكرية أخرى عبر بها ضباطها وجنودها عن استنكارهم لقرار طرد رفقاء سلاحهم من أفراد القوات المصرية واخلائهم من السودان . لقد كانت المظاهرة بادرة تأييد وتضامن أملتها روح الزمالة العسكرية ورفقة السلاح وقسم الولاء للجيش المصرى الذى هم جزء منه . ولئن تحولت المظاهرة من احتجاج سلمى الى تمرد عسكرى فذلك لم يكن هدف منظميها ، بل هو أمر أملته اعتبارات اللحظة وظروف المواجهة مع القوات البريطانية التى بادرت باطلاق النار .

كان الطابع المميز للنشاط السياسى المعادى للادارة البريطانية فى السودان منذ مطلع العشرينات وبصفة خاصة خلال

النصف الثانى من عام ١٩٢٤ هو اسلوب المظاهرات وتسيير مواكب الاحتجاج وبرقيات الاستنكار وتوزيع النشرات السرية وتخريب بعض المرافق العامة • وهذه كلها وسائل مستحدثة للتعبئة الجماهيرية واثارة الرأى العام لم يعرفها السودان من قبل • ولربما اختار قادة اللواء الابيض هذه الوسائل متأثرين بتجربة الحركة الوطنية المصرية وخاصة تجربة حزب الوفد خلال احداث ثورة ١٩١٩ وبعدها ، فقد لجأ الوفديون من قبل فى مناهضتهم للاحتلال البريطانى الى نفس مناهج العمل السياسى الجماهيرى •

وبالرغم من ان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ قد منح مصر شكلا من اشكال الاستقلال السياسى الا ان المعارضة الوفدية للتصريح استمرت وتصاعدت وخاصة خلال عام ١٩٢٤ الذى شهد انهيار آخر المفاوضات البريطانية المصرية الهامة (قبل معاهدة ١٩٣٦) بين رمزى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا وسعد زغلول رئيس مصر وزعيم الوفد •

لقد رأى قادة الحركة السياسية فى السودان فى اعلان فبراير ١٩٢٢ رغم ماشابه من نقص وتحفظات نجاحا للحركة الوطنية فى مصر حققته باللجوء الى الوسائل الجماهيرية فى الكفاح الوطنى فاختاروا نفس الطريق والوسائل علهم يظفرون بشىء من الاستقلال والحرية السياسية •

ومن ناحية اخرى فهناك اشارات لاترقى الى مستوى الدليل القاطع الى أثر الحزب الشيوعى المصرى والذى تأسس عام ١٩٢٣ على قادة اللواء الابيض • فبرنامج الحزب الذى حظى بشيء من العرض والمناقشة فى بعض الصحف المصرية دعا الى تصفية الاستعمار البريطانى فى وادى النيل واقترح تكوين اتحاد فدرالى بين مصر والسودان كما انتقد البرنامج سياسة الحكومة البريطانية الرامية الى فصل السودان اقتصاديا (ربما اشارة الى مشروع الجزيرة الذى شارف على الاكتمال) وبالتالى فصله سياسيا عن مصر ودعا البرنامج الى قيام حزب سياسى سودانى تمثل فيه القبائل الجنوبية (٢١) •

ومن القنوات التى يسرت انسياب المؤثرات الفكرية والتنظيمية للحركة الوطنية المصرية الى السودان الصحافة القاهرية بما كانت تحمل من أخبار عن العالم والبلاد العربية والاسلامية وتطور الحركة السياسية فى مصر واخبار غاندى ومصطفى كمال اتاتورك وأخبار الحركة الاشتراكية العالمية وعصبة الا مم ••• وحديثها عن يقظة الشرق وكفاح شعوب مصر وتركيا وسوريا وفلسطين •

ومن الصحف المصرية التى كانت تصل الخرطوم بصورة دورية الاهرام والمقطم والاخبار والسياسة والبلاغ والتى دأبت جميعها

على نشر اخبار السودان وتنظيماته وقادته وآراء زعماء الرأى فيه كما عمدت الى تحريض الرأى العام السودانى على الثورة ومناهضة السياسة البريطانية ٠

واضطلع بعض الضباط والموظفين المصريين من اداريين ومعلمين بدور هام فى توثيق الروابط السياسية بين مصر والسودان بل أن بعضهم قد شارك فى عضوية جمعية اللواء الابيض ومن هوءلاء اليوزباشى عبد الحميد حافظ الذى اقترح فى اجتماع للجمعية تكوين جناح عسكرى يستنفر متى ما لجأ البريطانيون الى استخدام القوة (٢٢) ٠ وتشير المصادر الى شخصيات مصرية اخرى لعبت دورا سياسيا مماثلا منها محمد توفيق وهبى القاضى بمحكمة أم درمان الذى أشرف على لقاء حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى فى مصر عند زيارته للخرطوم بعلى عبد اللطيف فى ديسمبر ١٩٢٣ ٠ وقد أبعد وهبى الى مصر فى يوليو ١٩٢٤ بسبب نشاطه السياسى (٢٣) ٠

وتتميز الحركة الوطنية السودانية عن مثيلاتها فى بعض البلاد العربية ومعظم المستعمرات الافريقية بسمتين رئيسيتين : النشأة الباكرة والوشائج الفكرية والسياسية بالحركة الوطنية فى مصر ٠ فلم يكد ينقضى العقد الثانى من عمر دولة الحكم

الثنائى فى السودان حتى أطلت بوادر الوعى السياسى والوطنى وظهرت تنظيماته على يد مجموعة صغيرة من بين الذين نالوا قسطا من التعليم الحديث - من مدنيين وعسكريين - وتأثروا من الناحيتين الثقافية والسياسية بالافكار والمبادىء والشعارات والمناخ السياسى المعادى للاستعمار البريطانى والذى ساد فى مصر فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ٠

وبالرغم من ان لكل حركة وطنية مناهضة للاستعمار أسبابا داخلية ومظالم محلية وبيئة سياسية وخصائص متفردة فان مرد هذه النشأة الباكرة وهذا التأثر السياسى ببعض مبادىء الحركة الوطنية فى مصر ومناهجها فى التعبئة والتنظيم هو النزاع بين مصر وبريطانيا على السلطة والسيادة فى السودان وماتبع ذلك من انقسام وتباين فى وجهات النظر بين قادة الفكر والرأى فى المجتمع السودانى من الزعماء التقليديين والمحدثين ٠

لم يكن من اغراض هذه الدراسة كما أسلفنا البحث فى جذور النزاع البريطانى المصرى حول السودان والمراحل التى اجتازها والآثار التى تركها على العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا ٠ ولكن يهمنا ان نذكر فى هذه الخاتمة ان النزاع الذى بدأ ثنائيا بين الدولتين تطور الى نزاع ثلاثى بعد الحرب الاولى بدخول السودانيين طرفا فيه ٠ ولا يقلل من أهمية

وأصالة موقف السودانيين من الناحيتين السياسية والفكرية تمحوره حول اتجاهين رئيسيين : اتجاه مساند للسياسة البريطانية الرامية الى فصل السودان اداريا عن مصر وعزله عنها سياسيا واتجاه آخر متعاطف ومتحالف - فكريا ان لم يكن تنظيميا - مع الحركة الوطنية فى مصر ٠ وقد عبر التياران كلاهما عن موقفيهما بشعارين سياسيين ظلا يميزان الحركة الوطنية السودانية حتى فجر الاستقلال عام ١٩٥٦ وهما "السودان للسودانيين" و "وحدة وادى النيل" ٠

المصـــــادر

(١) راجع للمزيد من التفاصيل واختلاف الرأى حول سياسة الحكم غير المباشر ، او مايعرف بالادارة الاهلية بعد عام ١٩٢٤ ٠

- جعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية والحركـــة الوطنية فى السودان ١٩١٩ - ١٩٣٩ ترجمة هنرى ريـــاض - دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢م ٠

--- Daly, M. W.: British Administration and the Northern Sudan 1917-1924, Historisch-Archaeological Institute, Nederlands, 1980.

(٢) مذكرة ونجت لوزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩١٩/٤/٣ وثائق وزارة الخارجية البريطانية - مكتب جامعة درام - ترجمة المؤلف ٠ ويروى المرحوم السيد عبد الرحمن المهدى زعيـــم طائفة الانصار فى مذكراته انه اقترح شعار السودان للسودانيين لمقاومة فكرة وحدة وادى النيل والتى لم يكن يرى انها تعبــر عن رغبات السودانيين ٠

راجع : جهاد فى سبيل الاستقلال : اعداد وتقديم الصادق المهدى - المطبعة الحكومية - الخرطوم ١٩٦٦ - ص ١٢٠ ٠

(٣) ونجت لوزارة الخارجية - المصدر السابق - ترجمة المؤلف ٠

(٤) نفس المصدر ٠

(٥) مذكرة اللورد آلنبى لوزارة الخارجية - صورة للورد ملنـــر رئيس لجنة التحقيق فى أحداث ثورة ١٩١٩ بمصر ٠ فبراير ١٩٢٠ أو نص المذكرة الدكتور مكى شبيكة فى مقالة : ثـــورة سنـــة

١٩١٩ المصرية وأثرها على السياسة البريطانية فى السودان"
مجلة الدراسات السودانية - العدد الا ول - المجلد السابع-
أغسطس ١٩٨٥م، ص ٧٦ - ٧٧ ، معهد الدراسات الافريقية - الخرطوم ٠

(٦) ملحق تقرير لجنة ملنر - المصدر السابق - ص ٨٢ - ٨٥ ٠

(٧) جعفر بخيت : نفس المصدر ، ص ١٣٦ - ١٤٦ ٠

(٨) صدر خلال الفترة تصريح فبراير ١٩٢٢ الذى اعلنت فيه بريطانيا رفع الحماية التى فرضتها على مصر خلال سنوات الحرب آلاولى واعلنت بموجب هذا التصريح استقلال مصر من جانب واحد كما تم فى العام التالى ١٩٢٣ اقرار دستور جديد لمصر وقد مهد هذان الاجراءان السبيل امام عقد أول مفاوضات بين بريطانيا وحكومة مصرية منتخبة برئاسة سعد زغلول ٠

(٩) راجع نص التصريح فى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر لعبد العزيز الشناوى ، وجلال يحى - القاهرة - دار المعارف ١٩٦٩ - ص ٧٢٠ ٠

(١٠) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر - الجزء الاول - ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، القاهرة دار المكتب العربى ١٩٦٨ ص ٤٣١ ٠

(١١) ابرق رئيسا الجاليتين اليونانية والايطالية قنصليهما فى القاهرة يناشدانهما اتخاذ الاجراءات الكفيلة ، والتدخل لحماية ممتلكات وأسر الجاليتين ٠ وقد اصدرت جمعية اللواء الابيض فيما بعد بيانا تنفى فيه مسئوليتها عن اعمال التخريب وتلقى بالتبعة على سلطات الامن والشرطة ٠ تقرير المخابرات لشهر يونيو ١٩٢٤ ٠

(١٢) المصدر السابق - ملحق التقرير - ص ١٦٠ - ترجمة المؤلف - راجع للمزيد من التفاصيل عن نشأة جمعية اللواء الابيض : اهدافها وتنظيمها وقادتها ، كتابى باللغة الانجليزية :

--- Hasan Abdin, Early Sudanese Nationalism, Institute of African and Asian Studies, Khartoum University Press 1986, Chapter 3.

(١٣) تقرير بيلى مدير الخرطوم عن جمعية اللواء الابيض - سبتمبر ١٩٢٤ .

(١٤) عن نص دفاع المدرسة الحربية - راجع :

--- Report of Acting Governor-General, Wasey Sterry, to Lord Allenby, Cairo, August, 1924.

--- M. O. Beshir: Revolution and Nationalism in the Sudan, Rex Collings, London, 1974 P. 82.

(١٦) تقرير لجنة ايوارت التى تولت التحقيق فى احداث ١٩٢٤ وهو بعنوان :

--- Report on Political Agitation in the Sudan from 1919-1924, Khartoum 1925.

اعدت التقرير لجنة خاصة كونها حاكم عام السودان فى فبراير ١٩٢٥ - راجع الملحق التاسع للتقرير ص ٣٦ .

(١٧) --- Daly, Ibid, P. 149.

(١٨) تقرير لجنة ايوارت : الملحق الثانى ص ٤٢ - ٤٤ .

(١٩) الاميرلاى احمد بك رفعت : مذكرة بعنوان : اخلاء السودان
أرشيف مجلس الوزراء - القاهره ١٩٦٨ ص ٦٨ .

(٢٠) مقابلة شخصية مع الملازم ثان (معاش) سيد فرح - الخرطوم
معهد الدراسات الافريقيه ١٩٧٤ م .

تمت المقابلة اثناء احتفالات الذكرى الخمسين " لثـــورة ١٩٢٤ "

(٢١) - - - Jaafar M. A. Bakhiet: Communist Activities in the Middle East between 1919 - 1927 with special reference to Egypt and the Sudan. African Studies Seminar Paper, No. 3. Sudan Research Unit, Khartoum, 1968 P. 18.

(٢٢) تقرير مدير الخرطوم عن اللـواء الابيض - سبتمبـــر ١٩٢٤م :
راجع أيضا : جعفر بخيت : الادارة البريطانية والحركـــة الوطنيـة فى السودان ص ٨٢ .

تراجـــم الكتـــاب

(١) د٠ عبد الرحمن الخانجـــى :

- بكالريوس آداب ـ جامعة الخرطوم ٠
- ماجستير آداب
- دبلوم تربيه وعلم النفـس
- دكتوراه ـ تخصص فى الادب الاندلسـى
- شغل منصب مدير عام مصلحة الثقافة ١٩٧٩
- محاضر زائر جامعة كالفورنيا ١٩٨١
- عميد كلية البنات ـ جامعة امدرمان الاسلامية ٠
- لـه عدة مؤلفـــات
- حاليا أستاذ مشارك ـ جامعة الملك سعود ـ قسم اللغه العربيه المملكه العربيه السعوديه ٠

(٢) د٠ عبد الوهاب احمد عبد الرحمن

- بكالريوس آداب ٠
- ماجستير آداب ـ حملة عبد الرحمن النجومى على مصر ١٩٦٧م
- دكتوراه جامعة لندن ١٩٧١م
- لـه عـدة مولفـــات منها "توشكـــى"
- استاذ مشارك ـ جامعة الامارات ٠
- حاليا وكيل جامعة الامارات

(٣) أ ٠ د ٠ شوقى عطا الله الجمـل

- استاذ معهد الدراسات الافريقيه ـ جامعة القاهره
- له اهتمامات واسعه بتاريخ وادى النيل
- لـه عـدة مولفات منهـا :
  تاريخ سودان وادى النيـل

- سياسة مصر فى البحر الاحمر فى النصف الثانى من القـــرن التاسع عشـــــر ٠
- التضامن الاسيوى الافريقى وأثره فى القضايا العربيــه
- الوحده الافريقيــه ومراحل تطورهــا ٠

(٤) د٠ حســن عابديــن محمــد

- تخرج فى كلية الاداب جامعة الخرطوم ١٩٦٥م
- حصل على درجـة الماجستير ١٩٦٧ ودرجـة الدكتوراه فى ١٩٧٠ من الولايات المتحدة الامريكيــــة ٠
- عين محاضرا بكلية الاداب - شعبة التاريخ ١٩٧٠م
- انتدب للعمل القومى (الامانة العامه للاتحاد الاشتراكى ١٩٧٤)
- عين وزير دوله برئاسة الجمهوريه فى فبراير ١٩٧٧ ٠
- تمت اعادة تعيينه محاضرا بمعهد الدراسات الافريقيـــــه والاسيويه وكلية الاداب قســم التاريخ فى ١٩٨٣م
- حاليــا سفيــر جمهوريـة السودان بالجزائــر ٠